يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرَكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي

زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف

زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـي

إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ

حَتَّى إذا طِفْـتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تلْقى وَجْهَهُ فَقِـفِ

وقُل سَلامٌ من الله الســلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٨١٦٥/٤
Date التاريخ: ٢٠/٧/٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره إعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي
هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د . أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة حمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وأديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١-إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤-أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصيغة APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩-أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢-يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣-يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦-دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١-ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكتروني: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي
محتوى العدد (٨) صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م المجلد الثاني

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	التأصيل الشرعي لأدوات الائتمان في البنوك الربوية نماذج تطبيقية	أ.م.د. يوسف نوري حمه باقي	٨
٢	مِنَ التَّاريخِ إلَى النَّصِّ القرآنيّ تَوْظِيفُ الواقِعِ في بلْورةِ نظرية الاجْتِهادِ النَّبويّ	أ.م.د. حَيْدَر شَوْكَان سَعِيد	٢٢
٣	نظرية المعنى عند الفيلسوف كواين دراسة لغوية، منطقية	أ.م. د. عدي غازي فالح	٤٤
٤	بيعُ الصندوق العشوائيّ إلكترونيًا «دراسة فقهيّة تأصيليّة»	أ.م. د. منال خليل سلمان	٦٢
٥	أشهر مناهج المؤرخين العراقيين في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ابن الطقطقي أنموذجاً	أ.م. د. كاظم شامخ محسن	٧٢
٦	أوزان ودلالة الألوان في القرآن الكريم	م. د. رشأ طه محمود	٩٨
٧	أثر طريقة بالسنكار وبراون في تحصيل مادة الفيزياء لدى طلاب الصف الخامس العلمي	أ.م.د. عادل كامل شبيب الباحث:عمر عبد الكريم عبد الله	١١٠
٨	العلاقة الارتباطية بين ممارسات إدارة الموارد البشرية الخضراء والاحتراق الوظيفي	عبير زين العابدين مهدي أ.د. محمد عودة حسين	١٣٠
٩	الإعجاز القرآني مفهومه ونشأته وموطن تجليه عند السيد عباس علي الموسوي	الباحث: كاظم كريم عيسى أ.د. أحمد علي نعمة	١٤٦
١٠	إنفرادات الشيخ علي كاشف الغطاء وآراءهُ الفقهية عرض وتحليل	الباحث:علي حسون خضير أ.د. حميد جاسم عبود الغراوي	١٥٦
١١	حرمة بيع السلاح على أعداء الإسلام في مقاصد الشريعة نماذج من كتاب فقه الموضوعات الحديثة للسيد الشهيد محمد الصدر(قدس سره)	الباحث: علي حميد حسين أ.م.د.علي جميل طارش	١٧٠
١٢	مفهوم السببية عند محمد باقر الصدر(قدس سره)	الباحث: عبد الله ميثم علي عبد الله أ.د. نظلة أحمد الجبوري	١٧٦
١٣	التجربة الدينية بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي	الباحثة: فاطمة صالح خابط عزير أ.م. د. حلا كاظم سلومي	١٩٦
١٤	مميزات واهداف التربية الاسلامية وأثرها على المجتمع الاسلامي	الباحث عبد الحكيم حميد احمد أ.د. أحمد شاكر محمود	٢٠٦
١٥	بلاغة أسلوب القصر بـ(إنَّما) في الزهراوين دراسة بلاغية	م.د. عمر علي غالب صالح	٢١٤
١٦	أثر مبنى العقل في الاستنباط الشرعي عند الإمامية والشافعية	الباحث: غفران جاسم جعفر أ.م.د. حنان جاسب الكناني	٢٢٤
١٧	دور السنة النبوية في تنمية القدرات الفكرية	الباحثة:صبا حاتم محسن كاظم م. د. حليم عباس عبيد	٢٣٢
١٨	دانييل ويبستر ودوره السياسي في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٨٢–١٨٥٢	أ.م. زاحل صالح جاسم م.م. محمد جواد عبد الكاظم	٢٤٢
١٩	استدراك السيد محمد حسين فضل الله على السيد الخوئي في تفسيره «من وحي القرآن»	الباحثة: ابتهال حسن محيسن نجلاح	٢٥٨
٢٠	دور المحاسبة القضائية في كشف الاحتيال المالي في المؤسسات العراقية	الباحث: علاء عبد الكريم مناتي	٢٦٨
٢١	الذكاء الإصطناعي وأثره في الفكر الأسلامي لصناعة الفتوى	الباحث: عدي حميد مناجد مخلف	٢٧٨
٢٢	توظيف التنشئة الاجتماعية والقيم العليالصقل شخصية الطالب من خلال الأسرة والمؤسساتالتربوية والتعليمية الرسمية	الباحث: أحمد كناص عبيد حسين	٢٨٨
٢٣	إبادة الاستعمار الألماني لسكان ناميبيا ١٩٠٤–١٩٠٨	م. م. أثير عبد العزيز علوان	٢٩٨
٢٤	فاعلية برنامج إرشادي معرفي سلوكي في تنمية المرونة النفسية وخفض الاحتراق الأكاديميلدى طلاب المرحلة الثانوية المتفوقين دراسياً	م. م. رائد عاجل ادريس	٣١٤

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

إبادة الاستعمار الألماني لسكان ناميبيا ١٩٠٤-١٩٠٨

م. م. أثير عبد العزيز علوان
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الثالثة

المستخلص:
تُمثل الجرائم التي ارتكبتها القوات الاستعمارية الألمانية ضد شعبي الهيريرو والناما في ناميبيا (المعروفة آنذاك بجنوب غرب أفريقيا الألمانية) بين عامي ١٩٠٤ و١٩٠٨ أولى حالات الإبادة الجماعية في القرن العشرين، اذ قُضيَ على نحو ٨٠٪ من الهيريرو وأكثر من نصف شعب الناما، وقد تميزت تلك الفظائع باستخدام معسكرات الاعتقال كوسيلة للإبادة، والاعتماد على خطاب «علم الأعراق» لتسويغ عمليات القتل، لقد كان ردّ السلطات الاستعمارية الالمانية متمثلة بقوات الحماية(Schutztruppe) بعد اندلا ع ثورة الهيريرو والناما عام ١٩٠٤ و ١٩٠٥، رداً عنيفاً ودموياً يوازي وربما تجاوز ممارسات نظرائهم من القوى الاستعمارية الأخرى اذ قُضيَ على نحو ٨٠٪ من الهيريرو وأكثر من نصف شعب الناما، لذا يمكن القول إنّ الاستعمار والنازية لا يرتبطان بعلاقة سببية مباشرة، إلا أن كليهما استند إلى منظومة فكرية قائمة على العنصرية العلمية الزائفة وتقويض قيمة الإنسان غير الأوروبي، مما يُظهر كيف يمكن للأيديولوجيا أن تُحوّل مشاريع السيطرة إلى ممارسات إبادة مُمنهجة.

الكلمات المفتاحية : الاستعمار الالماني، ناميبيا، الهيريرو.

Abstract:

The atrocities perpetrated by German colonial forces against the Herero and Nama peoples in Namibia—then known as German South West Africa—between 1904 and 1908 constitute one of the earliest cases of genocide in the twentieth century. Approximately 80% of the Herero population and over half of the Nama were systematically exterminated. These crimes were marked by the deliberate use of concentration camps as instruments of annihilation and were ideologically underpinned by racial science, which served to legitimize mass killings, The German colonial response, led by the Schutztruppe (Protection Force), to the uprisings of the Herero in 1904 and the Nama in 1905, was extraordinarily violent and repressive— matching, and in some respects surpassing, the brutality of other contemporary colonial regimes. The scale and intentionality of the extermination efforts underscore the genocidal nature of the campaign, Although colonialism and Nazism are not causally identical phenomena, both systems were rooted in a shared ideological matrix grounded in pseudo-scientific racism and a fundamental devaluation of non-European human life. This historical case illustrates how ideology can transform imperial ambitions into mechanisms of systematic extermination.

Keywords: German colonialism, Namibia, Herero.

المقدمة:

وصفت المصادر التاريخية في القرن العشرين غالباً بأنه «قرن الإبادة الجماعية»، نظراً لما شهده من عنف جماعي غير مسبوق من خلال النطاق والوسائل والتأثير. فقد أسهم التقاء الحكم الاستبدادي، والأيديولوجيات الجماعية،

والتوظيف المنهجي للتكنولوجيا الحديثة في جعل الإبادة الجماعية خياراً سياسياً قابلاً للتنفيذ ومتكرراً!! وفي هذا الإطار، تُمثّل الجرائم التي ارتكبتها القوات الاستعمارية الألمانية ضد شعبَي الهيريرو والناما في ناميبيا (المعروفة آنذاك بجنوب غرب أفريقيا الألمانية) بين عامي ١٩٠٤ و١٩٠٨ أولى حالات الإبادة الجماعية في القرن العشرين، اذ قُضيَ على نحو ٨٠٪ من الهيريرو وأكثر من نصف شعب الهيريرو الناما، وقد تميزت تلك الفظائع باستخدام معسكرات الاعتقال كوسيلة للإبادة، والاعتماد على خطاب «علم الأعراق» لتسويغ عمليات القتل، وهو ما عكس تصعيداً نوعياً في نمط العنف الجماعي الموجه ضد المدنيين، والذي أصبح سمةً مميزة لهذا القرن الدموي!

لقد كان ردّ السلطات الاستعمارية الالمانية متمثلة بقوات الحماية(Schutztruppe) بعد اندلا ع ثورة الهيريرو والناما عام ١٩٠٤ و ١٩٠٥، رداً عنيفاً ودموياً يوازي وربما تجاوز ممارسات نظرائهم من القوى الاستعمارية الأخرى، بيد أن ما يميز التجربة الألمانية عن غيرها هو الإطار الأيديولوجي الذي وُضعت فيه هذه المواجهة، إذ تم تأطير الصراع مع الهيريرو والناما بوصفه مواجهةً عرقيةً وجوديةً، يُهدَّد فيها «العرق الأدنى» بالفناء كخيار مبرّر.

استندت تلك المقاربة إلى تراكمات فكرية وأكاديمية طويلة داخل النخبة الألمانية آنذاك، اذ أُقحمت مفاهيم الداروينية الاجتماعية «البقاء للاصلح» وعلم تحسين النسل في الخطاب الاستعماري لتسويغ مشاريع الإبادة والتطهير العرقي، بوصفها خطوات ضرورية في مسار التقدّم والحضارة.

وعلى الرغم من وجود إشارات واضحة في الأدبيات إلى التأثير المحتمل لسياسات الإبادة الجماعية ضد شعب الهيريرو على بعض أوجه التكوين الأيديولوجي للنظام النازي لاحقاً، فإنّ اختزال هذا الحدث بوصفه مجرد تمهيد لصعود النازية يُعد تبسيطاً مخلاً وتحريفاً لسياقه التاريخي، فكما يؤكد عدد من الباحثين، فإن مقاربة الإبادة في جنوب غرب إفريقيا من منظور تطوري محض يؤدي إلى تهميش بعدها الاستعماري، ويُقوّض أهميتها بوصفها لحظة مفصلية في تاريخ العنف الإمبريالي، لا مجرد مقدمة للاستبداد الأوروبي في القرن العشرين، ومن ثمّ، فإنّ الإصرار على هذا الربط الخطي مع النازية يهدد بتقويض إمكانات تحليل نقدي معمّق ضمن إطار دراسات ما بعد الاستعمار.

يمكن القول إنّ الاستعمار والنازية لا يرتبطان بعلاقة سببية مباشرة، إلا أن كليهما استند إلى منظومة فكرية قائمة على العنصرية العلمية الزائفة وتقويض قيمة الإنسان غير الأوروبي، مما يُظهر كيف يمكن للأيديولوجيا أن تُحوّل مشاريع السيطرة إلى ممارسات إبادة مُنهجة.

أولاً: موقع ناميبيا الجغرافي وبدايات الاستعمار الالماني

تعد ناميبيا واحدة من أكبر دول قارة افريقيا من حيث المساحة اذ بلغت أكثر من (٣١٨) الف كيلو متر مربع، كما أنّها واحدة من اقل الدول من حيث الكثافة السكانية، إذ وصل عدد سكانها إلى (٢,٢) مليون نسمة، ويرجع انخفاض سكانها إلى مناخها الصحراوي وأراضيها القاحلة، كما أنها اخذت تسميتها من صحراء ناميب(١).

تقع ناميبيا في قارة افريقيا يحدها المحيط الاطلسي غرباً وانغولا شمالاً، وبتسوانا شرقاً وجنوب افريقيا جنوباً، ويشكل السود أكثر الجماعات الاثنية فيها اذ تصل نسبتهم إلى ما يقارب (٨٧,٥)٪ أما البيض فتبلغ نسبتهم (٦)٪ في حين يصل الملونون إلى نسبة (٦,٥)٪ اما التقسيمات القبلية فتحتل قبيلة اوفامبو المرتبة الاولى بنسبة تصل إلى (٥٠) ٪ من السكان تليها قبيلة كافانجو بنسبة (٩)٪ ثم الهيريرو (٧)٪ والدامارا (٧)٪ والناما (٥)٪ والبوشمن (٣)٪ والباستر (٢)٪، امّا الاديان فتأتي المسيحية في المرتبة الاولى بنسبة تتراوح بين (٨٠–٩٠)٪، ولغتهم الرسمية هي اللغة الانكليزية(٢).

وصل البحارة البرتغاليون إلى سواحل ناميبيا (الحالية) وكان اول وصول اوروبي لتلك المنطقة حينما وصل البحار والمستكشف البرتغالي ديوغو كاو إلى كيب كروس عام ١٤٨٥(٣)، وفي الثامن من كانون الاول عام ١٤٨٧، نزلت مجموعة اخرى من البحارة البرتغاليين بقيادة بارثلوميو دياز إلى شاطئ ناميبيا بالقرب من خليج والفس Walvisوفي النصف الثاني من القرن السابع عشر ظهر الهولنديون في سواحل المنطقة، وفي عام ١٧٩٥ قام

الانكليزي الكابتن الكسندر برفع العلم البريطاني على نقطة من سواحل المنطقة بيد أنه لم يلق تأييداً من حكومة بلاده(٤).

شهدت سبعينيات القرن الثامن عشر نشاطاً ملحوظاً للبعثات التبشيرية المسيحية البروتستانتية الالمانية، واقدمت تلك البعثات عام ١٨٦٤ على شراء الاراضي الواقعة شمال شرقي خليج والفيس، الامر الذي اثار شكوك الدول الاوروبية لا سيما بريطانيا(٥)، كما تطلع التجار الالمان إلى مزاولة نشاطهم الاستعماري في اسيا وافريقيا لا سيما بعد الرغبة الالمانية بالتوسع نتيجة تغير موقف المستشار الالماني بسمارك **Bismarck**(٦)، وايجاد محميات المانية وانشاء الجمعية الالمانية للدراسات الافريقية(٧).

تعرض الالمان اثناء السنوات الاولى عقب توجههم نحو افريقيا إلى هلاك افرادها من دون وجود اية حماية لهم، فأرسل بسمارك رسالة إلى الحكومة البريطانية مستفهماً حول امكانية حمايتها لارواح الاوروبيين في المناطق الممتدة من شمال مصب نهر الاورنج حتى حدود انغولا، لكن الحكومة البريطانية اخلت مسؤوليتها عن تلك الحوادث، الامر الذي استدعى طلب البعثات الالمانية من حكومتها عام ١٨٨٣ السماح لها باستخدام القوارب المسلحة وغيرها من وسائل الدفاع عن النفس لحماية رجالها، فكان بذلك النواة الاولى للنفوذ الالماني(٨).

حصل في العام ذاته الالماني هنريك فوجلاسنج (ممثل رجل المال الالماني لودرتز) على ارض في منطقة انجرابيكوينا بموافقة احد الرؤوساء المحليين وعُرفت هذه المنطقة باسم « لودرتز»، وارسل القائم بالاعمال الالماني في لندن الكونت بليس مذكرة إلى وزير الخارجية البريطاني اللورد جرانفيل ليفسون – **Granville Leveson** (١٧٧٣–١٨٤٦) في السادس والعشرين من اب ١٨٨٤ ذكر فيها أنّ المانيا تصرفت بناءً على المبدأ في مسألة انجرابيكوينا، ولا يمكن لأيّة قوة المطالبة به، وبموجب اشعار اخر مؤرخ في ١٥ تشرين الاول ١٨٨٤ ابلغت المانيا الدول الاخرى ان محميتها تمتد حتى كيب واعلنت الحماية بطريقة الاحتلال على جنوب غرب افريقيا (ناميبيا) لاحقاً(٩).

وفي اعقاب مؤتمر برلين ١٨٨٤–١٨٨٥ جرى التنازل عن بلدان القارة الافريقية لصالح هيمنة دول اوروبية مختلفة ونتيجة لذلك اصبحت ناميبيا (جنوب غرب افريقيا آنذاك) مستعمرة المانية(١٠)، وكان ذلك المؤتمر تكريساً للنهج الاستعماري الذي سعت المانيا من خلاله للحاق بالقوى الاستعمارية الاخرى والتخلي عن مبادئ الانسانية المزعومة(١١).

ثانياً: اصل قبائل ناميبيا (الهيريرو وناما) انموذجاً

ـ١ـ تعد جماعة هيريرو العرقية ثاني اكبر جماعة عرقية في ناميبيا اذ تضم ما يقارب (٧)٪ من اجمالي السكان، وتركز شعب هيريرو في مناطق مختلفة من البلاد، لا سيما الوسطى والشرقية منه، وتميز ابناء هيريرو بلباس خاص طويل وفضفاض وغطاء رأس على الطراز الفيكتوري ترتديه النساء، وزياً عسرياً يرتديه الرجال، أمّا مجموعة الناما العرقية في جنوب ناميبيا فتشكل (٥)٪ من اجمالي السكان وتركز افرادها في المنطقة الجنوبية من البلاد(١٢).

استعمل الهيريرو لغة البانتو، وفضّل شعبهم تربية الماشية على زراعة المحاصيل لذا عُرفوا على انهم رعاة تقليديون، وتعتمد مكانتهم ونفوذهم على قدر الماشية التي يحوزنّهم، وباتوا يمتلكون مهارات خاصة بتربية المواشي، وعملوا ايضاً في مجال الحرف اليدوية كمنتجات الجلود والسلال والمجوهرات والحلي والدمى(١٣).

إمّا المجموعة العرقية الاخرى ناما او هوتنتوت الاقرب في الاصل إلى شعب البوشمن او سان اذ شاركوا معاً في لغة الكليك او الخويسان وبالبشرة الصفراء الفاتحة نفسها، واسلوب حياة اعتمد الصيد وجمع الثمار، يعيش ابناء ناما في شمال ناميبيا تحديداً في نامالاند، وكانت مناطقهم القبلية تقليدياً ملكية مشتركة كما هو الحال في كل شيء ما لم يكن مصنوعاً من قبل فرد، كما دخلوا في صراعات متكررة مع هيريرو حول الاختلافات الاساسية في تصور ملكية الارض ومناطق الصيد، كما امتاز افراد عرق ناما بتفضيل الملابس المتحشمة الطويلة لا سيّما في الشاطئ او الحقل

وكان اللباس القصير والكاشف والضيق غير مقبول لديهم(١٤).

امتلك الهيريرو في النصف الثاني من القرن التاسع عشر القوة لبسط نفوذهم في وسط ناميبيا، وقد سبق ذلك التطور تحول اجتماعي واقتصادي عميق بين الهيريرو، اذ اتسم مجتمع الهيريرو في الأصل باللامركزية الاجتماعية والسياسية، ولكن مع بدء الهيريرو في تعزيز مكانتهم في وسط ناميبيا، بدأت عملية تدريجية نحو المركزية، في الوقت نفسه، تمكن الهيريرو من بناء قطعان ضخمة من الماشية، وأصبحوا من أبرز مربيها في المنطقة، اما جماعات الناما فانها اقامت في جنوب ناميبيا علاقات اقتصادية مع مستعمرة كيب، واعتمدت كذلك على تجارة الماشية، وتشير التقديرات إلى أن وسط وجنوب ناميبيا كان يسكنهما قرابة ٨٠,٠٠٠ من الهيريرو و٢٠,٠٠٠ من الناما حينما أعلنت ألمانيا عام ١٨٨٤،جنوب غرب إفريقيا مستعمرة لها(١٥).

ثالثاً: اسباب إبادة الاستعمار الالماني لسكان ناميبيا

كانت المانيا وافداً استعمارياً متأخراً من بين الدول الاستعمارية الاخرى، لكنها سرعان ما استحوذت على اربع مستعمرات عامي ١٨٨٤–١٨٨٥، من بينها بل أهمها جنوب غرب افريقيا (ناميبيا حالياً) التي عُدت المستعمرة الانسب للاستيطان الالماني.

لم يتبع الغزو الاستعماري الألماني لناميبيا خطة مدروسة جيدًا، بل كان فوضوياً ومرتجلاً، وتمثلت إحدى العقبات الرئيسة أمام المشروع الاستعماري الألماني في جنوب غرب إفريقيا (ناميبيا) بإحجام الحكومة الالمانية عن تزويد ادارتها الاستعمارية بالموارد المالية والشخصية اللازمة، الامر الذي اجبر الادارة الاستعمارية في الاعتماد على العنصر الافريقي، لذا أصبح كلٌ من زعيم ناما هندريك ويتبوي–Hendrik Witbooi(١٦)، وزعيم هيريرو صموئيل ماهاريرو– Maharero Tjamuaha(١٧) حليفين مقربين للحاكم الألماني ثيودور لويتوين، وقد استفاد كلاهما من الحكم غير المباشر الذي مارسه المستعمرون لأنه ساعدهم على تأمين مواقعهم المتنازع عليها(١٨).

سرعان ما تعارضت الحقائق السياسية على ارض الواقع مع الأفكار الطوباوية التي صاغها دعاة الاستعمار في برلين اذ كان الهدف الرئيس لاستعمار جنوب غرب إفريقيا هو إنشاء مستعمرة للمستوطنين البيض، كانت المتطلبات الأساسية لهذه الفكرة إلغاء المؤسسات السياسية للمشيخات، والاستيلاء على الأراضي الأفريقية، وتفكيك عادات السكان الأصليين وأنماط حياتهم، وتحويل المجتمعات الأفريقية المستقلة إلى طبقة بروليتارية بلا هوية، ورغم أن الإمكانيات المتاحة حالت دون تحقيق هذه الخطة على المدى القريب، إلا أن السلطات الاستعمارية الألمانية وافقت على النهج الاستراتيجي الشامل، وكانت مقتنعة بضرورة القضاء على النفوذ السياسي والقوة العسكرية للأفارقة بمجرد أن يصبح ذلك ممكنًا(١٩).

شددت الادارة الاستعمارية الالمانية قبضتها تدريجياً على الشعب والاراضي وانشأ الحاكم لويتوين (١٨٩٣–١٩٠٤) نظاماً للحكم غير مباشر من اجل كسب الوقت لخططه واسعة النطاق للهندسة الاجتماعية، ووفقاً لمساعيه كان من المقرر تحويل السكان الافارقة إلى قوة عاملة تلبيةً للمصالح الاقتصادية الالمانية، ولما كان (لويتوين) لا يمتلك القوة العسكرية لإخضاعهم، اعتمد على الحكام التقليديين لتمرير التغيرات السياسية والاجتماعية التي يرغب بها بشكل مخفي(٢٠).

منذ البداية، كان الافتراض القائل بأن الشعوب الإفريقية ستتقبل الهيمنة الأجنبية بمرور الوقت محض وهم، وكشف عن جهل متعمد بطبيعة المجتمعات المحلية وتعقيداتها، فالسياسات الاستيطانية الرسمية التي اعتمدتها الإدارة الألمانية، والتي تضمنت تشجيع هجرة واسعة النطاق للمستوطنين الألمان في إطار مشروع «تحديث» المستعمرة، كانت تحمل في طياتها بذور التوتر والصراع، إذ لم تكن موجهة لتحقيق التنمية بقدر ما كانت تهدف إلى تكريس الهيمنة والسيطرة. ومع تزايد عدد الوافدين الجدد، ظهرت بوضوح مظاهر الاستعلاء العرقي، اذ اظهر المستوطنين شعوراً صارخاً

بالتفوق العنصري، وتصرفوا كافراد من عرقٍ اسمى، متجاهلين تماماً الأعراف الاجتماعية والنظم السياسية التقليدية، وقد بلغ هذا الاستعلاء ذروته في الانتهاكات الجسيمة لحقوق السكان الأصليين، وعلى وجه الخصوص جرائم الاغتصاب، التي لم تعد السلطات الإفريقية التقليدية قادرة على التصدي لها أو معاقبة مرتكبيها، نتيجة ما عُرف بالنظام القانوني المزدوج، الذي حال دون خضوع الأوروبيين للقوانين المحلية، بينما كانت المحاكم الألمانية نادراً ما تتعامل بجدية مع الجرائم المرتكبة ضد الأفارقة، ما أدى إلى إحساس عميق بالظلم وفقدان الثقة في كل من السلطة الاستعمارية والزعامات التقليدية، وقد ساهم ذلك الوضع في إضعاف شرعية القادة الأفارقة، الذين باتوا عاجزين عن أداء دورهم التقليدي في حماية مجتمعاتهم.

كان شعب الهيريرو يُولون اهتماماً كبيراً لتربية الماشية اذ كانت تُشكّل جزءاً اساسياً من حياتهم الاقتصادية والاجتماعية حتى ان اغطية الرأس الخاصة بهم صُممت لتبدو كقرون الماشية، قبالة ذلك كان للمستوطنين البيض هوس بتربية الماشية الامر الذي خلق صراعاً بين الطرفان، واستولى المستوطنون الالمان في عامي ١٨٩٦–١٨٩٧ على ما يقرب من اثني عشر الف رأس ماشية من الهيريرو بفضل نزاعات قانونية مجحفة استندت إلى معاهدات الحماية، ومن اساليب مصادرة الماشية ان الالمان وضعوا حفراً للمياه على ممتلكاتهم الامر الذي جعل من حصول الهيريرو على الماء بمثابة «التعدي» على ممتلكات الالمان وبالتالي يفقدوا بموجب القانون جزء من الماشية نظير ذلك(٢١).

علاوة على ذلك، استُخدمت الماشية كأداة ضغط اقتصادي، اذ فُرضت على الهيريرو قروض مجحفة لشراء السلع المصنعة واللوازم الضرورية، وسرعان ما بادر الألمان إلى سحب هذه القروض، بهدف حرمان الهيريرو من إمكانية جمع الأموال اللازمة للسداد، ما أدى إلى عجزهم عن الإيفاء بالتزاماتهم المالية، ومكّن المستعمرين من الاستيلاء على الماشية التي ضُمنت كضمان، وقد ساهمت سياسات الشراء المجحف، والاستغلال القانوني، والإقراض بفوائد مرتفعة في تقليص أعداد ماشية الهيريرو من أكثر من ١٠٠ ألف رأس في تسعينيات القرن التاسع عشر إلى نحو ٤٦ ألفًا فقط بحلول عام ١٩٠٢(٢٢).

ازدادت الأوضاع تدهوراً حينما وقعت كارثة طبيعية تمثلت بانتشار الطاعون، اذ دخل طاعون البقر القارة الافريقية في اواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر، ووصل إلى اراضي زامبيا اذ حُجب لمدة بسيطة بسبب نهر زامبيزي الذي عبره في عام ١٨٩٤، وبحلول تموز عام ١٨٩٦، بدأت السلطات الالمانية في ناميبيا بعد ان تنبهت لاقتراب المرض باتخاذ تدابير لمنع انتشاره، منها ايقاف التنقل التجاري بين الدول، بيد أنه وبسبب الاجراءات المتأخرة التي اتُخذت في اقليم هيريرو، لم تتم السيطرة على الوباء، لا سيّما وأنّ المكلفين بفرض حظر التنقل التجاري كانوا انفسهم متورطين بالتجارة سراً، ومنهم القائد الالماني هاوبتمان فرانكي – Hauptmann Franke الذي اشار في مذكراته بتاريخ ١٣/ تشرين الاول ١٨٩٦ عن مخاوفه بشأن انتشار الطاعون، وشرائه اثني عشر حصاناً بمبلغ ١٦ عشر جنيهاً استرلينياً من منطقة ترانسفال شمال شرق «جنوب افريقيا» ونقلها إلى ناميبيا(٢٣).

على الرغم من ان انتقال الطاعون لناميبيا في عام ١٨٩٦، الا أنّ التقارير المؤكدة اشارت إلى تفشي الوباء في نيسان ١٨٩٧، ونظراً لكثافة حركة المرور وقلة الطرق فأن الانتشار كان بسرعة فائقة، لا سيّما في منطقة هيريرو لاند فأن انتشاره كان كالنار في الهشيم بسبب انعدام امكانية الحجر الصحي مما ادى إلى فقدانهم ثُلثي الماشية، إما بعض المجتمعات الاخرى فإنّها فقدت (٩٥)٪ من مواشيها(٢٤).

اشارت احصائيات في عام ١٩٠٣ إلى تقلص اعداد الماشية من مئات الالاف قبل حلول طاعون البقر إلى ما يقارب خمسين الفاً فقط، وهي اعداد ضئيلة لما امتلكه المستوطنون من مواشٍ في مدة زمنية وجيزة بطرق غير مشروعة وغارات حكومية وشروط تجارية غير مواتية، وخداع، وسرقات علنية(٢٥).

في عام ١٨٩٧، ألحقت أضرارٌ جسيمة بالبنية الاجتماعية والاقتصادية التقليدية، مما دفع أعداداً متزايدة من الأفارقة إلى الدخول في علاقات عمل غير متكافئة مع المزارعين ورجال الأعمال الأوروبيين، وكذلك مع الإدارة

الاستعمارية. وبذلك، لم تقتصر تداعيات الاستعمار على الهيمنة السياسية والعسكرية فحسب، بل تجلّت كذلك في إعادة تشكيل الأنماط الاجتماعية والاقتصادية بما يخدم مصالح السلطة الاستعمارية

مر مجتمع الهيريرو بأزمة اقتصادية عميقة، وعلى الرغم من رفضهم بيع اراضيهم للأوروبيين في بداية الامر الا انهم تنازلوا مضطرين اذ باع الكثير من زعماء القبيلة اراضيهم بأسعار منخفضة للغاية الامر الذي اسهم في زيادة التوتر والاحتقان، وعدَّ معظم المؤرخين ان السبب الرئيس لقرار الهيريرو بخوض الحرب هو فقدانهم الاراضي(٢٦)، كما اضطر الالاف من الهيريرو على العمل عند الاوروبيين وتعرضوا بذلك إلى انواع من التعذيب والسلوك الوحشي اثناء تأدية العمل(٢٧).

كما كان شعور النامبيين المتزايد بفقدان أراضيهم لصالح المزارعين المستوطنين والشركات العقارية، احد اهم اسباب اقدام شعب الهيريرو على شنّ تمرد شامل، منظم ومركزي القيادة، ضد السلطة الاستعمارية الألمانية، ذلك التفسير ظلّ سائداً في غالبية الأدبيات التاريخية التي تناولت حرب الهيريرو – الألمان، اذ سعى معظم الكتّاب إلى ترسيخ فكرة أن الدافع المحوري للتمرد كان مرتبطًا مباشرة بقضية الأرض.

بيد أن المؤرخ هيلموت بلي قدّم مقاربة أكثر تحفظاً، إذ راجع ذلك الطرح السائد، مبيناً أن الهيريرو لم يكونوا، في عام ١٩٠٣، يواجهون أزمة حادة في توافر الأراضي، ولم تكن هناك سياسة ألمانية ممنهجة تستهدف مصادرة أراضيهم، ومن وجهة نظر بلي، لم تكن الحرب نتيجة مباشرة لفقدان فعلي للأرض، وإنما كانت انعكاساً لتصورات الهيريرو وشكوكهم المتنامية بشأن النوايا الألمانية، قبال ذلك اعتقد الأفارقة أن التوسع الألماني لن يتوقف أبدًا، وأن الحكومة الألمانية لن تفي بمعاهدات الحماية، كما عدّت القبائل المفاوضات بشأن المحميات الأصلية تمهيداً لمصادرة عامة لأراضي القبائل.

فضلاً عن تلك الاسباب فإن عوامل اخرى اسهمت في اندلاع الحرب هو ما تعلق بنهج الهيريرو اذ ان سياستهم كانت قائمة على التنظيم والمهارات والاسلحة اللازمة والاستعداد لخوض غمار الحرب، مضافاً لذلك الدعم الشعبي الذي حظي بها الهيريرو سيما من فئة الشباب المتحمس للقتال نتيجة سوء معاملة اصحاب العمل الاوروبيين، كما كان للنساء دور في تشجيع الرجال بالهتافات منها « هيريرولاند ملكٌ لنا»(٢٨).

رابعا: احداث الحرب ومسار الإبادة

اتخذت الإبادة الجماعية التي استهدفت شعبي الهيريرو والناما في ناميبيا مسارًا ثلاثي المراحل. اتّسمت المرحلة الأولى بعمليات قتل جماعي خارج ساحة المعركة، وتهجير قسري لأفراد الهيريرو نحو صحراء أوماهيكي، (تقدر مساحتها بـ ٨٤٦١٢ كم مربع) إلى جانب اعتماد سياسة الأرض المحروقة كإستراتيجية عسكرية ضد قبائل الناما(٢٩)

توترت الاوضاع في ناميبيا نتيجة سياسة الاستعمار الالماني الذي صادر الاراضي ومنع الوصول للمياه، فضلاً عن الانتهاكات في الاعمال الشاقة التي طالت الافارقة وما سواها، لذا شهد تشرين الاول عام ١٩٠٣ اضطرابات لتكرار عمليات سرقة الخرفان من قبل المستوطنين، واستيطان اوروبي جديد في جنوب البلاد، مما ادى إلى حمل السلاح من قبل قبيلة بوندلسوارتس في اقصى جنوب ناميبيا كرد فعل على الاستفزازات والانتهاكات، الامر الذي استدعى طلب ثيودور لويتوين من القيصر الالماني وليام الثاني–William II (٣٠) قمع الانتفاضة(٣١).

في حلول تشرين الثاني ١٩٠٣، وعقب انتفاضة بوندلسوارتس، ألقى المستوطنون باللوم على ثيودور لويتوين Theodor Leutwein(٣٢)، وطالبوا باستبداله بجنرال من هيئة الأركان العامة(٣٣)، وتوقعوا أن يحل الجيش المشكلة التي خلقها لويتوين حسب زعمهم، ونشرت صحيفة أخبارنا تسايتونغ مقالاً بهذا الشأن في الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٠٣، كان المستوطنون يأملون في السيطرة على كامل الإقليم باستخدام القوة العسكرية، وعلى الرغم من شكوكهم بيد ان لويتوين كان حاكمًا وقائدًا للقوات العسكرية في لمستعمرة ناميبيا، ومتحكماً بكل القرارات المدنية والعسكرية هناك، ورفض الاستجابة للجيش أو القيصر، وتجاهل لويتوين، مطالب المستوطنين

الغاضبة، لذلك تكررت شكاوى المستوطنين على السلطات الألمانية والقيصر في عام ١٩٠٣ ووجهت إحدى مجموعات المستوطنين رسالةً إلى حكومة برلين تطالب فيها بإبادة عائلة بوندلسوارتس واستخدام القوات دون قيود. وأشار بول لويتوين، نجل الحاكم، إلاّ أنه في ٣١ كانون الاول ١٩٠٣، أي قبل أقل من أسبوعين من الانتفاضة الكبرى، عقد المستوطنون اجتماعاً، على حد تعبيره، «دعا فيه أحد أقدم الأفريكانيين، هاوبتمان ضد فرانسوا، في خطابٍ ناريّ إلى إبادة شاملةٍ للهيريرو».

في ظل تلك التطورات، اسهم ضغطُ مجتمع المستوطنين البيض وجماعات الضغط المؤيدة للاستيطان في برلين بلا شكٍّ في حرب الهيريرو، ووُجّهت دعواتٌ عديدةٌ لإبادة الهيريرو عن طريق كلٍّ من جمعية المستوطنين البيض في غرب أفريقيا (GSWA) وألمانيا وفي اجتماعاتٍ ومجلاتٍ وكتبٍ وصحفٍ مختلفة، كما دعت إحدى الصحف إلى ترحيل جميع الهيريرو إلى ساموا، ودعت أخرى إلى إرسال ألفي هيريرو إلى شرق أفريقيا الألمانية، كتبت صحيفة «دويتشه سود ويستافريكانيشه تسايتونغ» الصادرة في لودويتز عام ١٩٠٤: «يجب أن يسكن البلاد مستعمرون بيض، لذلك، يجب أن يختفي السكان الأصليون أو بالأحرى أن يضعوا أنفسهم تحت تصرف البيض». بعد يومين فقط من انتفاضة الهيريرو، أصدرت اللجنة التنفيذية للرابطة الاستعمارية الألمانية في برلين كتيبًا يشير إلى أنه «كلما كانت الأعمال الانتقامية ضد المتمردين أسرع وأشد قسوة، كلما كانت فرص استعادة السلطة أفضل(٣٤).

ادت تلك الاضطرابات الواسعة بين الافارقة والالمان إلى اندلا ع حرب مقاومة واسعة النطاق للحكم الالماني، من قبل الهيريرو في الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٠٤ اذ استولى الهيريرو على احدى حصون المستوطنين دون مقاومة وقتال(٣٥).

اندلعت الحرب وامر زعيم الهيريرو بعدم مهاجمة النساء او الاطفال او اوروبيين غير مسلحين او غير المان كالبوير والانكليز(٣٦)، وبذلت جهود كبيرة من ماهاريرو لاشراك الاعراق الاخرى ومنها الناما اذ بعث لهم برسالة تضمنت «كل صبرنا على الالمان لا يُجدي نفعاً فكل يوم يقتلون شخصاً ما دون سبب على الاطلاق لذلك اناشدك يا اخي (ويتبوي) الا تقف مكتوف الايدي امام الانتفاضة بل ان تجعل صوتك مسموعاً حتى تتمكن كل افريقيا من حمل السلاح ضد الالمان، دعونا نموت ونحن نقاتل بدلاً من ان نموت نتيجة التعذيب وسوء المعاملة، اخبر جميع الزعماء ان ينهضوا ويقاتلوا(٣٧)، الا انهم رفضوا الانضمام معه(٣٨).

بدأت عمليات القتل بحق المستوطنين في الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٠٤، ووصل عدد المقتولين قرابة مائة مستوطن(٣٩)، بعدها انسحب الهيريرو إلى وسط البلاد تمهيداً لبدء مفاوضات بين الطرفين بيد أن تلك المساعي باءت بالفشل(٤٠)، وفي اليوم ذاته ارسل قاضي مقاطعة ريختر برقية إلى وزارة الخارجية الالمانية اوضح فيها ان الهيريرو نهبوا جميع الاسلحة في محيط العاصمة الناميبية ويندهوك وقاموا بقتل المستوطنين البيض المقيمين في مزارع معزولة، وان الوضع الامني بات خطيراً، في الوقت ذاته كان الحاكم العام لويتوين وقوة الدفاع المؤلفة من ٧٠٠ رجلاً في الجزء الجنوبي من المستعمرة يقمعون ثورة صغيرة، وكان عدد المستوطنين اثناء الدلا ع المعركة ما يقارب(٤٦٤٠) مستعمراً المانياً وسط ما يقدر بحوالي (٨٠) الف من الهيريرو اتخذوا قراراهم بالخلاص من الاستعمار الالماني(٤١).

وظف القيصر الالماني وليام الثاني سلطته العسكرية غير الدستورية في القيادة وامر بتعزيزات فورية، كما وجه الكابتن الالماني غودويل بالذهاب إلى جنوب غرب افريقيا (ناميبيا)، وتولي العمليات العسكرية حتى عودة الحاكم الالماني لويتوين، وفي الثامن عشر من كانون الثاني ١٩٠٤ بعد اربعة ايام من برقية ريختر طلب المستشار الالماني برنحارد فون من الرايخستاغ تخصيص مبلغ مالي لتغطية ارسال الجنود(٤٢).

وصل لويتوين إلى سواكوبموند في الحادي عشر من شباط ١٩٠٤ وكان متفائلاً بحل الأزمة مع الهيريرو عن طريق المفاوضات وارسل رسالة إلى زعيم الهيريرو ماهاريرو في مطلع اذار سأل فيها عن أسباب الحرب(٤٣). رد زعيم الهيريرو صموئيل ماهاريرو في السادس من اذار ١٩٠٤، في رسالة إلى الحاكم الالماني لويتوين موضحاً اسباب

اندلا ع العمليات المسلحة، واكّد ان الاغتيالات كانت سبباً مباشراً في اندلا ع المقاومة جاء فيها(٤٤) :
« إلى ممثل القيصر لقد تلقيت رسالتكم وفهمت كل شيء جيداً وارد عليك انا ومستشاريّ، لم ابدأ القتال هذا العام، بل بدأ القتال البيض، انت نفسك – يقصد لويتوين – تعلم عدد الهيريرو الذين قُتلوا على يد الالمان وخاصة التجار المسلحين وفي السجون وكلما نقلت هذه الاحداث لكم كان يتم التعويض تلك الدماء بعدد قليل من الماشية الصغيرة، كانت دماء شعبي ثمنها عدد من الماشية تتراوح بين ١٥–٥٠ رأساً، كما ان الملازم زورن قام بقتل الكثير من الافارقة داخل السجن، لذلك اتهم ماهاريرو الملازم زرون والمستوطنين باندلا ع المواجهات(٤٥).
امرت الحكومة الالمانية الحاكم لويتوين بانهاء المفاوضات فوراً، كما تم رفض كلماته المتعلقة بالجانب الدبلوماسي، نجح الهيريرو في الاستيلاء على عدد من مزارع المستوطنين الالمان، والبؤر الاستيطانية الاصغر وفي قطع خط سكة الحديد سواكوموند ووويندهوك(٤٦)، وقُتل عدد من المزارعين الالمان، الامر الذي استدعى زيادة عدد الجنود الالمان من قبل حكومة برلين إلى (١٤٠٠) جندي(٤٧).
بناءً على اوامر برلين خاضت القوات الالمانية معركة مع الهيريرو في التاسع من نيسان عام ١٩٠٤ استمرت يوماً كاملاً في اونغانجيرا، تراجع على اثرها الهيريرو شرقاً، وبعد مرور اربعة ايام وتحديداً في الثالث عشر من نيسان اشتبك الطرفان مرة اخرى في اوفيومبو، وكانت هذه المرة اكثر تكافئاً، وقدرت قوة الهيريرو بثلاثة الاف مقاتل، قاتلوا بشجاعة وبسالة متناهية الا انهم لم يتمكنوا من دحر المدفعية الالمانية(٤٨)، وكانت الخسائر متقاربة اذ خسر الالمان قرابة (٢١٠) مقاتلاً بين ضابط وجندي، فيما خسر الهيريرو (٢٥٠) مقاتلاً(٤٩)، وبعد يوم واحد من القتال انسحب الطرفان، بدأ الهيريرو بالترحال شمالاً نحو ووتربيرج(٥٠).
شهدت تلك المرحلة اسناد القيادة الاستعمارية للملازم العام لوثار فون تروثا – Lothar von Trotha (٥١) في حزيران ١٩٠٤، وعزل لويتوين الذي وصف بالمعتدل، وكتب الاخير بياناً بمناسبة عزله، «انا لا اتفق مع هؤلاء المتعصبين الذين يريدون رؤية هيريرو يموتون تماماً بصرف النظر عن ان شعباً يبلغ تعداده ستين او سبعين الفاً يصعب ابادته»(٥٢).
اعلن تروثا في خطاب له فور تكليفه في الثلاثين من ايار ١٩٠٤ موجها للهيريرو قائلاً « تعلمون جيداً انه بعد ان ثرتم ضد حاميكم القيصر الالماني لا ينتظركم إلاّ الموت ولا يمكنني ايقاف الحرب، إما انتم فيمكنكم ايقاف الحرب من خلال القدوم علينا وتسليم اسلحتكم وذخيرتكم ونيل العقاب(٥٣).
ان فكرة مساومة الافارقة من اجل ضمان السلم لا تتناسب مع مفاهيم تروثا، نتيجة لما يعتقده من التفوق العرقي والعظمة الامبراطورية واستعراض القوة، كما اكد ان الحرب لن تُدار بطريقة انسانية، الامر الذي اوحى انه فضلاً عن استعماله القانون والنظام لفرض الامن كان ناوياً ان تكون معاملته للهيريرو قاسية ووحشية، واكد تروثا ان الافارقة متشابهون جميعهم ولا يستجيبون الا لمنطق القوة.
خلال الأربعة اشهر الاولى من الحرب، لم يقم ابناء الهيريرو بأي أعمال هجومية ضد المستعمرين الألمان، ولم يكن لديهم علم مسبق بالخطط الاستعمارية لابادتهم، لذا لم يعملوا على تخريب خطوط التلغراف الألمانية، فضلاً عن تعطيل خطوط الإمداد الألمانية، وقبل خمسة أيام من اندلا ع المعركة الحاسمة في الحرب «معركة هاماكاري» كان جنود الهيريرو لا يزالون يؤمرون بالامتناع عن الاشتباك مع الدوريات الألمانية، بدلاً من ذلك، بين شهري نيسان وآب، تراجع الهيريرو شمالاً(٥٤)، قبالة ذلك كان تروثا يمنع بتعليمات اصدرها لقواته الاشتباك مع هيريرو خوفاً من مغادرتهم منطقة ووتربيرج قبل اكمال عملية محاصرتهم(٥٥).
كان المستعمرون الالمان يعملون على عمل خطط من شأنها القضاء على الهيريرو، وفي شهر اب ١٩٠٤ انتقل الهيريرو إلى المراعي بالقرب من هضبة ووتربيرج بعيداً عن المستوطنات الالمانية في انتظار المفاوضات، قبالة ذلك حشد الالمان جيشهم في ١١ آب ١٩٠٤(٥٦)، وكانت خطة تروثا قائمة على اساس مبادئ مولتكه « الانتشار

، بكلمات الخاصة «كانت خطتي الاولية للعملية والتي التزمت بها دائماً هي تطويق شعب الهيريرو
ة تلك الجماهير بضربة متزامنة، ثم مطاردة الجماعات الهاربة المنشقة لنزع سلاحها، ثم وضع جوائز
دة وبعدها يتم الحكم عليهم بالاعدام(٥٧).

قبائل الهيريرو نحو (٦) آلاف مقاتل، يرافقهم نساؤهم وأطفالهم ليصل مجموعهم إلى حوالي (٤٠)
ً عنماشيتهم، وقد واجهوا قوة استعمارية ألمانية أقل عدداً، قوامها نحو (٣) آلاف جندي، بيد أن
عدات والمدفعية الحديثة اذ كانوا يملكون آنذاك (٣٦ مدفعاً و ١٤ بندقية) فضلاً عن اعتمادهم
عسكرية حديثة واستخدام اجهزة الهليوغرافيا، كما حاصر الالمان السكان الاصليين من ثلاث

ألمانية في موقف دفاعي وكادت ان تُهزم بيد أن امتلاكها موارد عسكرية كبيرة اسهم في قلب نتيجة
تفوق واضح والاستمرار في شنّ إبادة لا هوادة فيها، لذا اشتبك الالمان مع الهيريرو في المعركة
ت « هاماكاري – Hamakari(٥٩) والتي اجبروا فيها ما يقارب (٢٥) الف من السكان
صحراء ساندفيلد القاحلة، وهي جزء من صحراء اوماهيكي، وعلى الرغم من تفوق الالمان إلاّ انهم
الهيريرو، وبعد مرور اسابيع عدة دفع المستعمرون الالمان الهيريرو إلى عمق الصحراء وقاموا بتسميم
ماء على الناجين من رصاصاتهم(٦٠)، الامر الذي لم يترك لهم سوى الفرار إلى بوتسوانا البريطانية
فة (٥٠٠) ميل في صحراء كالاهاري القاحلة، وكانت تلك المسيرة بمثابة حكم بالموت، ولم ينجُ
ن الأشخاص، من بينهم زعيم الهيريرو، صموئيل ماهيرو(٥٩)، وقدرت خسائر الافارقة بالآف
قتل والجوع والعطش الذي ضربهم بعمق الصحراء(٦٢).

روثا الهيريرو الفارين واجبرهم على الاتجاه نحو الصحراء الوعرة، وضع مكافأة (٥٠٠٠) مارك
لى زعيم الهيريرو ماهريرو و(١٠٠٠) مارك قبالة الزعماء الادنى منه(٦٣)، كما امر تروثا بعدم
حتى من المدنيين، وتركهم يواجهون الموت، وناقشت المؤرخة إيزابيل هال– Isabel Hull
عية في إفريقيا كانت نتيجة طبيعية، وإن كانت كارثية، لثقافة عسكرية أصبحت سائدة في ألمانيا بعد
-البروسية، اذ أُعيد تعريف النصر باعتباره الإبادة الكاملة للعدو، وليس مجرد السيطرة على أرض
لدنيون جزءاً من العدو وبالتالي لا ضير في الاستغناء عنهم(٦٤).

الاستعمارية اوائل شهر ايلول مؤخرة جيش الهيريرو في افينو–ناوا بالقرب من نهر إيسيب وبعد
عة قليلة بدأت المطاردة وتحركت المدفعية لتطلق النار على صفوف الافارقة المنسحبين، الذين
حاهم بإشعال النار في العشب من خلفها، واجبرتهم في التوجه نحو صحراء اوماهيكي(٦٥).

ر التاريخية أن الأوضاع قد تغيرت من جرائم حرب إلى إبادة جماعية، إذ كانت مذبحة وتر بيرغ بمثابة
للفظائع، وفي تشرين الأول من عام ١٩٠٤، أصدر القائد الألماني لوثار فون تروثا قانوناً تحذيرياً
«أمر الإبادة» سيء السمعة(٦٦).

ر عن القائد الألماني الجنرال لوثار فون تروثا في الثاني من تشرين الاول ١٩٠٤ على ما يأتي : لم
و من رعايا الإمبراطورية الألمانية، لقد قتلوا وسرقوا وقطعوا آذان وأنوف وأجزاء أخرى من أجساد
لان بسبب خوفهم لم يعودوا يرغبون بالقتال مع ذلك عليهم مغادرة أراضي المستعمرة فورًا، ومن
عامل معه بمدفع غروت رور، كل من عُثر عليه داخل الحدود، سواء كان مسلحاً أو أعزل، وسواء
ة أم لا، فسيُطلق عليه النار دون استثناء»(٦٧)، كما أكد تروثا مجدداً أنه لن يسمح بعد الآن
أو الأطفال من الهيريرو، ولم يكن هناك خيار امام الناجين إمّا قسراً إلى صحراء أوماهيكي، أو سيتم
المخالفة(٦٨)، واقدم المستعمرون في فجر اليوم اللاحق لخطاب تروثا بشنق اسرى هيريرو الذين

حُكم عليهم بالإعدام مسبقاً، مع اجبار السجناء والنساء والاطفال على الحضور ومشاهدة عمليات الاعدام(٦٩) ثم اطلق سراح النساء والاطفال ليتم اقتيادهم لصحراء اوماهيكي، ووزع الجنود نسخ من خطاب تروثا على الهيريرو مكتوب بلغتهم(٧٠).

يتّضح لنا مما تقدم أن إعلان فون تروثا لم يكن مجرد تهديد، بل يُعبّر صراحةً عن تبني سياسة إبادة جماعية، كما إنّ قيام السلطة الاستعمارية بطباعة هذا الإعلان بلغة الهيريرو وتوزيعه على النساء والأطفال الذين كانوا يستعدون لمغادرة المنطقة إلى الصحراء، يُثبت وجود نية مسبقة في نشره على نطاق واسع، مما يعكس طبيعة التخطيط المنهجي لهذه السياسة.

اتخذ الجنرال فون تروثا قراراً واضحاً يقضي بتدمير شعب الهيريرو بالكامل، بعد أن رفض قبول أي استسلام متأخر، وقد أعلن صراحة أنه لن يُميّز بعد ذلك بين المقاتلين والمدنيين، ما شكّل انتهاكاً صارخاً لقوانين الحرب ومبادئ المعاملة الإنسانية، لذا قضى معظم أفراد شعب الهيريرو نتيجة الإرهاق وسوء الظروف القاسية جوعاً وعطشاً اثناء عمليات المطاردة الجماعية، بينما نجا ما يقارب ١٥ ألف شخص، شكّلت النساء والأطفال ٧٥٪ منهم، وبلغ اعدادقتلى الهيريرو قرابة (٦٥) الفاً من اصل (٨٠) الف نسمة(٧١).

سعى بعض المؤرخين الالمان إلى انكار او التقليل من حجم الإبادة او اعلان تروثا السيء السمعة والذي اصبح يُعرف بـ «Vernichtungsbefeh» وأشارت مذكرات تروثا وخطاباته في اماكن متعددة إلى انه كان يعلم جيداً على ماذا ينطوي اعلانه، وكتب يوم شنق الاسرى كتب رسالة وسلمها لهم جاء فيها « الان عليّ أن اسأل نفسي كيف انهي الحرب مع الهيريرو، اختلفت اراء الحاكم السابق وبعض الخبراء الافارقة مع ارائي اختلافاً تاماً، اذ رغب الحاكم الاول والخبراء الافارقة بالتفاوض واعتبار كيان الهيريرو ضروري للتنمية المستقبلية للبلاد، اما رأيي اعتقد انه يجب إبادة الامة على هذا النحو او اذا لم يكن ذلك ممكناً فمن خلال التدابير الممكنة (غير مباشرة) من خلال احتلال ابار المياه من غروتفونتين إلى غوبابيس ستمكن قواتنا من الحركة المستمرة والعثور على المجموعات الصغيرة لتدميرها(٧٢)، واردف قائلاً «لقد اقنعتني معرفتي الوثيقة بقبائل الافارقة انهم لا يحترمون المعاهدات بل يحترمون القوة الضاربة، اجد من الانسب ان تَهلك الامة دون اصابة جنودنا، فأن اللطف من جانبي لن يُفسر الا على انه ضعف من قبل الجانب الاخر، عليهم ان يهلكوا او يحاولوا العبور إلى بيتسوانا(٧٣).

اشار الرائد في القوات الاستعمارية ستولمان في مذكراته اذ وصف ذلك اليوم مؤكداً انسحاب الهيريرو العشوائي امتعة منزلية متناثرة، اطفال بعيون تحدق، مهجورون يجلسون امام نيران المخيمات المحترقة، كما قال « اثناء تقدم قواتنا صادفنا ماشية وماعزاً واغناماً بادياً عليها اثار العطش، كان بإمكاننا انقاذها بسهولة اذ كان الماء والمراعي متوفرين بكثرة، ولكن اطلقت القوات الالمانية النار على القطعان وكما أشرنا « كانت بمثابة حرب إبادة شُنت على الهيريرو»(٧٤).

نُقل الناجون إلى معسكرات احتجاز أقيمت في ويندهوك، وسواكوبموند، وخليج لودريتز (المعروف أيضًا بجزيرة القرش)، وعلى الرغم من أن اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها لم تكن قد دخلت حيّز التنفيذ بعد، فإن ما تعرّض له الهيريرو من مذابح، وتهجير قسري، واستعباد عبر العمل القسري، يُعدّ انتهاكاً صريحاً لمبادئ القانون الدولي المعمول بها آنذاك، بما في ذلك قواعد لاهاي المتعلقة بقوانين الحرب البرية وأعرافها، ومعاملة المدنيين في مناطق النزاع(٧٥).

استمر مرسوم تروثا الخاص بالإبادة سارياً حتى كانون الاول ١٩٠٤، حينما دفعت ضغوطات محلية المستشار الألماني إلى إلغائه، وصفت رواية معاصرة الهيريرو الخارجين من كالاهاري بأنهم «جائعون، هياكل عظمية، بعيون غائرة، عاجزون ويائسون»، ثم سُمح لهم بالانتقال من المقلاة إلى النار: «معسكرات الاعتقال»، كما كتب بنيامين مادلي: « لعبت الرغبة المستمرة في تدمير الهيريرو دوراً في الحفاظ على هذه الظروف المميتة في المعسكرات

الألمانية»، واشارت في مكان آخر إلى أنه « وفقًا للأرقام الألمانية الرسمية، من بين ١٥,٠٠٠ من الهيريرو و٢,٢٠٠ من الناما المحتجزين في المعسكرات، لقي حوالي ٧,٧٠٠، أو ٤٥٪ منهم حتفهم(٧٦).

تمثل شعب الناما، بقيادة الزعيم الأسطوري هندريك ويتبوي، في الجهة الثانية من القوى المحلية التي واجهت المشروع الاستعماري الألماني في جنوب غرب إفريقيا، «ناميبيا» وعلى الرغم من أن ويتبوي كان قد ارتبط بتحالف طويل الأمد مع السلطات الألمانية، قدّم منه دعماً فعلياً في قمع اضطرابات داخلية بل وشارك في صراعات ضد الهيريرو، فإن ذلك التحالف شهد انهياراً جذرياً في ربيع عام ١٩٠٤، جاءت تلك القطيعة نتيجة تراكم عدد من العوامل السياسية والاجتماعية كالحرمان والسلب ونهب المواشي، ترافقت مع شعور متزايد بالتهديد من السياسات الاستعمارية، وقد انضم الناما إلى التمرد متأثرين بذات المظالم والبواعث التي دفعت الهيريرو إلى المواجهة، مما جعل من تمردهم جزءًا من المقاومة الأوسع للهيمنة الألمانية في المنطقة(٧٧).

اضطرب ويتبوي من شدة الهزيمة الألمانية التي لحقت بالهيريرو في ووتربيرج وبرنامج الإبادة الجماعية الذي تلاه، فضلاً عن حشد القوات الألمانية في نامالاند، وخشيته من القيود المحتملة على السلطة الرئيسية الناجمة عن مطالب المستوطنين الألمان المحليين الذين كان طموحهم الأكبر تحويل الناما إلى طبقة عمالية متعاقدة، لذا قرر قيادة الانتفاضة وناشد زعماء القبائل الأخرى في نامالاند للانضمام إليه، وبالفعل انضم إليه ثلاثة على الأقل، بمن فيهم سيمون كوبر من الفرانسمان وهانز هندريك من الفيلدشوبندراجرز، لكن آخرين، وقعوا تحت تأثير البعثات المحلية أو بسبب القيود الجسدية الناجمة عن التدخل الألماني، رفضوا المشاركة، فضلاً عن ذلك، اختارت قبيلة ريهوبوث باسترز الاستمرار في دعم القضية الألمانية(٧٨).

تعرض الناما بعد هزيمة الهيريرو لوابل من الشتائم اللاذعة من المستوطنين الذين دعوا إلى انهاء سلطة القبيلة وتسليم اسلحتهم، ونقل جميع القبائل إلى محميات محددة، لذا اضطر ويتبوي مع حوالي ١٤٠٠ من المؤيدين إلى شن هجومه على المزارع والمستوطنين الألمان في الثالث من تشرين الاول ١٩٠٤(٧٩)، فاجأت الانتفاضة المستعمرين الألمان واسفرت العملية في يومها الثاني عن مقتل اربعين ما بين جندي ومستوطن الماني، لذا طالبت القوات الالمانية باستسلام ويتبوي الذي رفض ذلك قائلاً « السلام سيكون بمثابة موتي وفناء امتي، فأنا اعلم انه لن يكون لي ملاذ في ظل حكومتكم»(٨٠).

تسببت تلك الهجمات بموجة من القلق والذعر اجتاحت المستعمرة، كان العدد الإجمالي للقوات الألمانية في المستعمرة في ذلك الوقت قرابة عشرة الاف، ولكن حوالي (٥٠٠) فقط كانوا متمركزين في نامالاند، وتمثل الرد الألماني الأولي على الانتفاضة بإرسال ست سرايا من القوات مدعومة بالمدفعية والرشاشات، وفي غضون بضعة أشهر كان هناك أكثر من (٤٠٠٠) جندي تحت قيادة العقيد ديملينج يواجهون حوالي (١٤٠٠) متمرد من ناما، وكان دعم وتزويد مثل هذا الجيش الألماني الكبير بالمؤن مهمة صعبة للغاية اذ لم يكن هناك خط سكة حديد إلى نامالاند في عام ١٩٠٤ الامر الذي اجبرهم على نقل الإمدادات بعربات من ميناء لودريتز عبر صحراء ناميب القاحلة وهي رحلة طولها (٢٥٠) كيلومتر، والتي استغرقت أحياناً أكثر من ٢٥ يومًا، وكانت تلك المعسكرات بحسب المؤرخين بديل الموت(٨١).

كانت الثورة نبأ مفاجئ لفون تروثا، لا سيما أنه اعتقد أن قمعه لثورة هيريرو كان سيشكل رادعاً للقبائل الأصلية الأخرى، في الأشهر القليلة الأولى من الثورة، حقق الألمان انتصارين محدودين، ففي غارة مفاجئة على إحدى القبائل الداعمة لويتبوي بالقرب من كوس، تمكن الألمان من قتل عدد كبير من الرجال(٨٢).

وقعت المواجهة اللاحقة بين الألمان ومتمردي ناما في ناريس، اذ فاجأ القائد الألماني ديملينج، هندريك ويتبوي وألحق به خسائر فادحة، اجبرته على التراجع إلى صحراء كالاهاري، لكنه لم يُهزم وفي الوقت ذاته ادرك صعوبة مجاراة التفوق الالماني في العدد والعتاد، لذا تجنب المعارك الضارية مفضلاً حملة حرب عصابات التي اعتمدت تكتيكات

الكر والفر على مدار سنوات لترهق وتستنزف قوات الحماية الاستعمارية(٨٣).

وصل فون تروثا إلى ناماكوالاند في ٢١ نيسان ١٩٠٥، وخصص مكافآت مالية قبالة رؤوس قادة ناما، وأعلن ان جميع أفراد ناما الذين يستسلمون سيحصلون على عمل وطعام، بيد أن الإعلان باء بالفشل في حثّهم على الاستسلام، لذلك نظّم فون تروثا قواته لخطة معركة مركزية اخرى تهدف إلى الإبادة، على غرار معركة ووتربيرج، بيد أن شعب الناما رفض خوض مثل هذه المعركة(٨٤).

اثناء مفاوضات سلام فاشلة مع الناما، قُتل ابن لوثار فون تروثا بالخطأ بنيران صديقة (وحدة ألمانية مهاجمة)، بعد ذلك، توقفت المفاوضات وقرر فون تروثا إبادة شعب الناما، وفي التاسع عشر من ايار ١٩٠٥، أصدر الأمر الاتي لقبائل ناماكوا المُقاتلة: «سيكون إمبراطور المانيا العظيم والقوي متساهلاً مع شعب ناماكوا، وقد أمر بإنقاذ أرواح من يُسلّمون أنفسهم، لكن إذا ظنّ أحدٌ أنه سيُعامل بتساهل بعد هذا الإشعار، فالأفضل له مغادرة البلاد، لأنه إذا شوهد مرة أخرى في الأراضي الألمانية، فسيتم إعدامه رمياً بالرصاص، ومن ثم سيتم القضاء على جميع المتمردين»، وفي التاسع والعشرين من ايار، عُدّل السطر الأخير ليصبح: «من الأفضل لهم مغادرة البلاد، لأنه أينما يُشاهَدون في الأراضي الألمانية، سيُطلَق عليهم النار حتى يُباد جميع الخارجين عن القانون»(٨٥).

دونت السجلات الرسمية الالمانية على ان المعارك التي خاضها المستعمرون الالمان ضد احد قادة ناما ياكوب مارينغو في تلال كاراس في حزيران وتموز ١٩٠٥ على انها انتصارٌ لهم، بيد أن الواقع على العكس من ذلك اذ استدرج مارينغو الالمان إلى فخ وتسبب بقتل (١٩) جندي وجرح (٣١) اخرين، ووصفَ الاخير على انه «تابليون الاسود»، وفي الخامس والعشرين من تشرين الاول ١٩٠٥ تكبد المستعمرون الالمان خسارة فادحة في معركة هارتبيسموند، قادها شعب ناما خلفت (٤٣) بين قتيل ومفقود وجريح، وفي التاسع والعشرين من الشهر ذاته قاد هندريك وتبوي حملة على قطار امدادات الماني وبعد قتال عنيف بنحو متقطع في معركة فالجراس اصيب على اثرها إصابة قاتلة وكانت اخر كلماته « لقد كان ذلك كافيا بالنسبة لي، انتهى كل شي(٨٦).

تولى إسحاق القيادة خلفاً لابيه، وطلب الصلح مع الالمان في تشرين الثاني ١٩٠٥، واستسلمت جماعة ويتبوي من الناما في الشهر الاتي(٨٧) وقدر عددهم بـ ٧٤ رجلاً و ٤٤ امرأة و ٢١ طفلاً إلى جانب الخيول والعتاد العسكري، وفي ١١ كانون الاول استسلم ٢٧٧ اخرين بين رجل وامراة وطفل وفي ٢٤ من الشهر ذاته استسلم قرابة ١١٩، وفي الثاني من اذار ١٩٠٦ استسلم ١١٢ فرداً، لُيعلن بذلك رسمياً نهاية مقاومة ويتبوي ناما بعد قتل واسر قرابة ٤٠٠ مقاتل، وقد تطلب القضاء على عناصر وتيبوي البالغة عددها ١٢٠٠–١٤٠٠ مقاتل نشر جيش الماني قوامه ١٥٠٠٠ جندي.

وهنا يمكن القول بصحة مخاوف ويتبوي التي اعلنها قبل اندلا ع حرب ناما مع المستعمرين خوفاً من الإبادة الجماعية، وعلى الرغم من نهاية الحرب بشكل شبه رسمي في اذار ١٩٠٧ الا ان المعارك استمرت ضد افراد مثل مارينغو، الامر الذي استدعى طلب المستعمرين المزيد من القوات(٨٨)، فقد استلزم قمع الانتفاضة نشر أكثر من أربعة عشر ألف جندي ألماني بحلول أوائل عام ١٩٠٦، امتدت خطوط إمدادهم عبر مئات الكيلومترات من الجبال والصحاري(٨٩)، ولم يتجاوز عدد الناما في ذروة الانتفاضة، ككل ألفي مقاتل، لكن إتقانهم لحرب العصابات في الأراضي القاحلة والوعرة وضع الألمان في مأزق عسكري.

عقدت مناقشات في الرايخستاغ بشأن احداث ٢٥/ تشرين الاول ١٩٠٥، وفي شباط ١٩٠٦ اخترق الالمان دفاعات مارينغو في هارتبيسموند الامر الذي تطلب هجوم من ثلاثة طرق منفصلة، تراجع على اثرها الاخير إلى كومكوم ثم إلى اوكاماس، وفي الرابع من ايار ١٩٠٦ عبر إلى جنوب افريقيا، الا ان الالمان استمروا بملاحقته مما اضطر لتسليم نفسه للجنوب افريقيين ونقل إلى سجن في كيب تاون واحتجز فيها حتى حزيران ١٩٠٧، واطلق سراحه بشرط عدم عودته إلى ناميبيا، وحينما حاول التسلل اليها سراً علمت الشرطة الجنوب افريقية بذلك في

٢٠ ايلول ١٩٠٧ اعترضته في مزرعة إينزامهايد واردته قتيلاً(٩٠)، وجاء ذلك بمساعدة القوات البريطانية خوفاً من التداعيات السياسية لعمليات ماريغو، ومنح الالمان مداليات القيصر الذهبية للبريطانيين تكريماً لجهودهم بتلك العملية(٩١).

جرى نقاش جاد في وزارة المستعمرات، اقترح فيه الدكتور ألبرت هال، حاكم غينيا الجديدة الألمانية، ترحيل قبيلة ويتبوي إلى جزر ماريانا، في النهاية، ثبت فشل هذا المقترح، وقررت السلطات في برلين ترحيل «الزعماء» ومثيري الشغب (حسب وجهة نظرهم)، وفي ١١ ايلول ١٩٠٧، صدر إعلان حكومي خاص اقرّ بمصادرة جميع الممتلكات العائدة لقبيلة ويتبوي، ولم يتبقَّ من قبيلة ويتبوي سوى قرابة ستة وتسعين فرداً بعد مرور ثلاث سنوات على القرار(٩٢).

خامساً: معسكرات الاعتقال وآراء المؤرخين بالإبادة:

كما توقع الحاكم الالماني السابق لويتوين وخشي من نتائج الحرب لكونها تؤدي نقصاً في الايدي العاملة، وللتخفيف من ذلك النقص انشئت معسكرات العمل القسري بين عامي ١٩٠٤–١٩٠٨، وسجن الهيريرو الذين وقعوا اسرى بيد القوات الالمانية في معسكرات العمل القسري في جميع انحاء البلاد واجبروا على العمل في مشاريع مدنية وعسكرية، ولم يُستثنى الاطفال والنساء من معسكرات الاعتقال(٩٣).

اشارت التقارير إلى تمكن المستعمرين من اعتقال عدد كبير من الهيريرو اثناء معركة واتربيرج، ومع انتهاء حرب الهيريرو في شمال ناميبيا ووسطها وتطور حرب الناما في جنوب البلاد، ارتفعت مطالب الجيش والمستوطنين بشأن الايدي العاملة، وتمكن الجيش الالماني من اجبار الهيريرو على المكوث في المناطق الجافة في اوماهيكي، لذلك لم يكن المكان مهيأ للعمل مما استدعى طلب الرايخستاغ الالماني من المبشرين الذهاب إلى الصحراء وتشجيع الهيريرو على الانخراط في معسكرات الاعتقال.

ارسلت مجموعة من المبشرين من جمعية التبشير الراينية ومساعديهم إلى اوماهيكي لجذب الناجين إلى المعسكرات المنشأة حديثاً، وتحسباً للأعداد الكبيرة قام الالمان ببناء عدد من معسكرات الاحتجاز في اومبورو وأوتجوسازو وأوتجيهاينينا ولاحقاً في اوتجوزونغومبي، وكسب المبشرون اعداد كبيرة من الهيريرو الذين استسلموا للعمل وجرى تحميلهم بعربات الماشية ونقلهم داخل معسكرات الاعتقال والعمل، ونظراً للظروف التي مروا بها كالجوع والعطش، وضع الاسرى في معسكرات احتجاز كبيرة تمهيداً لنقلهم إلى معسكرات أصغر في جميع انحاء البلاد، وشهدت تلك المرحلة لمعالجة الهيريرو والناما ظهور مصطلحين المانيين جديدين هما **Konzentrationslager** (معسكر الاعتقال)، و**Endlosung** (الحل النهائي)، والذي اكتسب بعد حوالي ٣٥ عامًا معنى أكثر شمولاً، ابان العهد النازي(٩٤).

طالب المستوطنون والشركات الاستعمارية منذ اندلاع الحرب بتوفير العمالة وكان الجيش الالماني يعاني كذلك من نقص الايدي العاملة، وبقي متردداً في احتكاره الاسرى حتى عام ١٩٠٥، وبعد نقاشات مطولة سمح للمدنيين افراداً وشركات باستخدام الهيريرو في العمل بعد تقديم الطلبات للجيش، ليأخذ بنظر الاعتبار عدد السجناء المطلوبين لغرض العمل مع مراعاة عدد السجناء المتاحين لتخصص السلطات العسكرية لسلطات المنطقة «سجناء» بعد ذلك يتم تخصيص سجناء للطلبات المُقدمة من الافراد وتكون الاولوية وفقاً لاهميتهم واحتياجهم، وبصفتهم سجناء واسرى يكون العمل قسراً لا يُدفع لهم أي اجر.

أما ابرز الاعمال التي عمل فيها السجناء فانها شملت كل من المؤسسات العسكرية والمدنية في مجموعة واسعة من الانشطة كالمغاسل والحمامات والنقل ومصانع المشروبات الكحولية وشركات الشحن، اما الاطفال فقد استخدموا للعمل في المقام الاول في رعاية المواشي وبناء الحظائر وضخ المياه وقطع الاعشاب للعلف والرعي، واستخدم اسرى الهيريرو والناما في بناء خطوط سكك الحديد بين اوساكوس واوتاني ولاحقاً بين لودريتز وكيتمانشوب، فضلاً عن

استعمالهم في مشاريع البناء(٩٥).

كانت ظروف المعسكرات مروعة وكانت اعدادهم كبيرة اسكنوا في مبان بائسة مبنية من الخيش والواح خشبية بسيطة، وكانت كل مجموعة ما بين (٣٠–٥٠) شخصاً سكنوا في مسكنٍ واحدٍ بغض النظر عن العمر والجنس، ويكون العمل طيلة ايام الاسبوع بما في ذلك يوم الاحد والاعياد، فضلاً عن قلة الطعام الذي لم يكن سوى طعام الارز ولم يكن كافياً لدعم اجسامهم التي اضعفها العمل وحرارة الشمس، لذا لقي الكثير حتفهم ودفنوا (كالابقار)، ولا يمكن للسجلات التاريخية اخفاء حقيقة المعاناة والقسوة اللامتناهية والوحشية والاعتداءات، والايذاء البدني والاعتداء الجنسي وعدم كفاية الطعام لهم ونقص الرعايا الطبية(٩٦).

كان احد جوانب العمل القسري تقديم سلطات المقاطعة تقارير شهرية للحكومة المركزية في برلين حول عدد السجناء وجنسهم واعمارهم وكم عدد المخصصين للمدنيين وتصنيفاً حول جاهزية وغير جاهزية السجناء، وقائمة مصحوبة بأعداد المتوفين مع ذكر سبب الوفاة وكان اغلبها الارهاق وقصور القلب او ضعف جهاز التنفس.

اطلق الألمان على جزيرة القرش اسم «**Todesinsel**» أو «جزيرة الموت» لما رافقها من وفيات ومرض، بتفصيلٍ مُبكر، ولا شك أنها كانت صادمة، فالضرب والاغتصاب، وانعدام الرعاية الصحية شبه التام، وقلة الطعام والملابس والفراش والمأوى، كل ذلك أدى إلى ارتفاعٍ مُذهل في معدل الوفيات، كان ذلك أول مثال على الإبادة الجماعية الألمانية، وبحلول مطلع عام ١٩٠٥، باتَ من الواضح أن مجتمع الهيريرو قد تغيرت هويته ومعالمه إلى الأبد، فقد كانوا شعباً بلا قائد، وبلا أرض، ومُحتجزين في معسكرات خاصة، وكما أشار المؤرخون، بعد انتهاء الحرب، كانت هناك فئتان من الهيريرو، أولئك الذين تمكنوا من البقاء على قيد الحياة في معسكرات الاعتقال والعمل، والاخر ما سُميّ بالبامبوسين، وهم المئات من الأطفال الصغار والأيتام الذين تم دمجهم في قوات الحماية ووظفوا كتمائم (رموز دعائية) ومساعدين وخدم كاستغلال واضح لطفولتهم في سياق عسكري استعماري(٩٧).

أنشأ الجيش الألماني معسكراً منفصلاً احتُجزت فيه نساء الهيريرو بهدف استغلالهن جنسياً لإشباع رغبات الجنود الالمان، ولم يختلف الوضع في أيٍ من البلدات والقرى الناميبية الأخرى التي تمركزت فيها القوات الألمانية، كما ان الأثر الناتج عن الاغتصاب الجماعي لنساء الهيريرو على يد الجنود الألمان استمر لفترة طويلة بعد النهاية الرسمية للحرب في عام ١٩٠٨، وبين عامي ١٩٠٦ و١٩٠٩، وُلد عدد من أطفال الهيريرو من آباء ألمان يفوق عدد من وُلدوا من آباء من الهيريرو انفسهم(٩٨)، وروى مُخبرو الهيريرو لستينكامب عام ١٩٢٢:

في هذه القرى والمزارع، احتكّوا بزوجاتهم وبناتهم البيض والجنود الفاسدين، وأُصيبوا بمرض السيلان، وعندما التقوا بأزواجهم وآبائهم بعد سنوات، كانوا عقيمين، في ويندهوك، فُتح بيت)دعارة(للجيش الألماني، وُضعت فيه بناتنا، وعندما عُدن من هناك وتزوجنّ من رجال الهيريرو، كنّ عقيمات، حرصوا بشدة على إقناعي بأن الهيريرو لم يكونوا على دراية بهذا المرض (العقم) قبل الاحتلال الألماني، لدرجة أنهم استشهدوا بمثال أولئك الهيريرو الذين فروا مع صموئيل ماهاريرو إلى بيتشوانالاند وشمال ترانسفال، لم يكونوا عقيمين، بل على العكس، كانت لديهم عائلات كبيرة(٩٩).

كما نشرت صحيفة كيب أرجوس، وهي صحيفة جنوب أفريقية، قصصاً تصف الظروف القاسية في المعسكر في أواخر ايلول ١٩٠٥، اذ نُقل عن أحد الاسرى بأنه كان يعمل في المعسكر في أوائل عام ١٩٠٥ قوله: يتم تعيين النساء اللاتي يتم أسرهن وعدم إعدامهن للعمل في الجيش كسجينات، ورأيت أعداداً منهن في أنجرا بيكينا يُجبرن على القيام بأصعب الأعمال، ويتضورن جوعاً لدرجة أنهن لم يكن سوى بقايا الجلد والعظام، بالكاد يُمنحن أي شيء ليأكلن، وقد رأيتهن كثيرًا يلتقطن قطعًا من نفايات الطعام التي ألقاها ركاب النقل. وإذا تم القبض عليهن وهن يفعلن ذلك، يتم جلدهن(١٠٠).

انبرى عدد من افراد الشعب الالماني لمعارضة إبادة شعب الهيريرو بيد أنها لم تكن نابعة من دوافع إنسانية بحتة، بل

لى اعتبارات عملية وأخلاقية وسياسية متنوعة، يمكن تلخيص هذه الدوافع كالاتي:
اقتصادية: الحاجة إلى عمالة أفريقية رخيصة لدعم المشروع الاستعماري الألماني في جنوب غرب أفريقيا، الإبادة كانت تُنظر إليها كإضرار بالمصالح الاقتصادية.
ارات الدينية والأخلاقية: رغبة في الحفاظ على صورة ألمانيا كممثلة لقيم المسيحية والإنسانية، مما يجعل تهديدًا لهذه الصورة الأخلاقية.
مة الدولية: القلق من تأثير الجرائم ضد شعب الهيريرو على مكانة ألمانيا الدولية، خاصة أنها كانت تحاول يرها كدولة «متحضرة» ضمن القوى الأوروبية.
ى العسكرية: بعض المعارضين رأوا أن الإبادة الجماعية ليست وسيلة فعالة أو مستدامة في إدارة الصراع ة على الشعوب المُستعمَرة.
هذه الضغوط والاعتبارات المتنوعة، ألغى القيصر وليام الثاني أمر الإبادة، لكن «على مضض»، مما يدل يكن مقتنعاً تماماً بضرورة وقفها، بل استجاب لضغوط داخلية وخارجية(١٠١)، وفي الاول من نيسان ١ اغلقت معسكرات الاعتقال بالكامل(١٠٢)، وقدر العدد الاجمالي الوفيات بما يصل إلى ثلاثة الاف لودريتز، اما العدد الكلي فيصل إلى اربعة الاف اسير ماتت الغالبية العظمى منهم بسبب امراض يمكن لوقاية منها مثل التيفوئيد(١٠٣).
من المؤرخين على ان ما جرى في ناميبيا يرقى لمستوى الإبادة ومنهم ما ذكرته المؤرخة الالمانية الخبيرة في بيا لاريسا فورستر، بمتحف الإثنولوجيا في كولونيا (مثل الكثير من المؤرخين المعاصرين) «مذبحة هيريرو جماعية في القرن العشرين: «كانت بوضوح أمراً بإبادة أشخاص ينتمون إلى جماعة عرقية محددة، لمجرد بها»(١٠٤).
ستينيات القرن العشرين، قدّم مؤرخان بارزان من الجمهوريتين الألمانيتين رؤى متباينة في المنهجية، لكنها مؤثرة معاً، حول ممارسات العنف الاستعماري في مستعمرة جنوب غرب أفريقيا الألمانية. ففي عامي ١٩٨٠، نشر هورست دريشلر، من جمهورية ألمانيا الديمقراطية، أعمالاً وثّق فيها الطابع الشمولي الاستعمار الألماني، بينما قدّم هيلموت بلي، من جمهورية ألمانيا الاتحادية، تحليلات مماثلة في عامي ١٩٧١، مثّلت دراسات هذين المؤرخين اسهامات تأسيسية في التأريخ لما أصبح يُعرف لاحقاً بالإبادة ضد شعبي الهيريرو والناما، وقد تعزز هذا الإرث البحثي بعمل نظري أكثر عمقاً للباحث بيتر شميت—إيغنر ، الذي أسّس لتحليل مفاهيمي لسياسات الإبادة، وهو تحليل أثبته لاحقًا جيرمان جيوالد (١٩٩٩) من ، ميداني وتجريبي موسع(١٠٥).
الاجتماع الالماني راينهارت كوسلر إلى سمتين رئيسيتين، إن نية إبادة هيريرو وناما، بمعنى أكثر تدميراً من حول مجرد هزيمة عسكرية، واضحة، ليس فقط من إعلان فون تروثا سيئ السمعة في ٢ تشرين الأول ما يسمى بأمر إطلاق النار) وما نتج عنه من توجيه ضد ناما بعد حوالي نصف عام، فقد تم الإشادة تراتيجية الإبادة الجماعية صراحةً كونها إنجازاً مجيداً للأسلحة الألمانية في المنشور الرسمي لهيئة الأركان انية، كما اشار إلى ممارسة معسكرات الاعتقال التي بلغت حد «القتل بالإهمال»، في سياق نظام منهجي ، والتي تم إثبات عمدها أيضاً عندما صرح العقيد فون ديملينج، بصفته قائد المعسكر في جزيرة ميناء صراحةً عن نيته عدم السماح لأي السكان بمغادرة الجزيرة على قيد الحياة، إن التوجه الإبادي لتلك مسار مشروع الاستيطان الألماني في ناميبيا شهد عليه ما يكفي من المواد المصدرية، وليس أقلها تلك تبادلات فون تروثا مع لويتوين(١٠٦).
م الاجتماع راينهارت كوسلر بأنه إذا كانت هناك ميزة واحدة تميز الحرب الاستعمارية في جنوب غرب

إفريقيا الألمانية عن معظم أو حتى جميع عمليات الإبادة الجماعية اللاحقة في القرن العشرين، فهي الدعاية المذهلة والمروعة التي أعطاها الجناة للأحداث، على ما يبدو على جميع المستويات تقريبًا. يبدأ ذلك بمجموعة من الصور الملتقطة، والتي تم تحويلها إلى بطاقات بريدية مصورة لجنود أرسلوا مع تحيات من بعيد وتمثل أي شيء من معسكرات الاعتقال، فوق السجناء الهزيلين في السلاسل إلى مشاهد الإعدام، كذلك قيام جنديين ألمانيين بتغليف صندوقاً من جماجم هيريرو مع تعليق يخبر القراء أن نساء هيريرو قد نظفنها من لحومها باستخدام شظايا الزجاج، ومع ذلك، هناك عنصر آخر وهي الروايات المؤثرة التي اشارت إلى الحرب، وعلى رأسها بيتر مورز، وهو سرد لتجربة جندي ألماني شاب، صيغت في شكل رواية مغامرات، لكنها تنقل مجموعة كاملة من الركائز الأيديولوجية الاستعمارية، مثل الحق الأعلى للمستعمرين في بلد غير مستغل أو حتى مسيء، او تصوير الأفارقة على أنهم وحوش برية بدلاً من البشر(١٠٧).

وفي سياق تبلور مفاهيم متنازع عليها حول الإبادة الجماعية وطرائق إحياء الذكرى، جاءت إسهامات لاحقة لكل من كروجر (١٩٩٩)، زيمرير (٢٠٠١)، وبوهلر (٢٠٠٣)، ومن اللافت أن جميع هذه الدراسات كانت في أصلها أطروحات أكاديمية، لكنها شكّلت نواة لكتابات لاحقة أكثر تداولًا، منها أعمال ديفيد أولوسوجا وكاسبر إريكسن (٢٠٠٩)، وبنجامين ساركين (٢٠١١)، بالفضلاً عندراسات زيمرير وزيلر (٢٠٠٣، ٢٠٠٨)، وفورستر وآخرين (٢٠٠٤)، وميلبر (٢٠٠٥)، التي نُشرت بمناسبة مرور مائة عام على اندلا ع ما يُطلق عليه أحيانًا "الحرب الألمانية الناميبية".

تتقاطع تلك الأدبيات في تأكيدها أن الحملة العسكرية الألمانية التي دارت بين عامي ١٩٠٤ و١٩٠٨ ضد شعبي الهيريرو والناما تُشكّل، وفق المعايير القانونية والتاريخية المعاصرة، عملية إبادة جماعية، وقد أسبغ تقرير ويتاكر، الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٩٨٥، بعداً رسمياً على هذا التوصيف، اذ عدّ ما حدث في جنوب غرب أفريقيا الألمانية أول إبادة جماعية في القرن العشرين، وعُدّ ذلك التقرير حتى اليوم الوثيقة الأوضح والأكثر مرجعية الصادرة عن هيئة دولية رسمية في هذا الصدد، إذ أعدّه المقرر الخاص بن ويتاكر بطلب من الأمم المتحدة، مما جعله يمثل إطارًا مرجعيًا ذا طابع دولي(١٠٨).

الخاتمة:

مما تقدم يمكننا القول

١– إن تلك التجربة الاستعمارية تتطلب قراءة نقدية معمقة، ليس لأنها مجرد فصل في تاريخ الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، كونها نموذجاً لفهم كيف تتقاطع السياسة والعرق والعنف في بنية الاستعمار الحديث، وهو ما يحتم علينا مسؤولية أكاديمية وأخلاقية لمواصلة البحث والكشف عن خبايا ذلك الإرث الثقيل، والعمل على ترسيخ سردية تاريخية أكثر عدلاً وإنصافاً للضحايا.

٢– جسدت الحرب الألمانية–الناميبية مثالاً صارخاً على الانتهاك الكامل لحقوق الإنسان، اذ لم يقتصر الاستعمار على الهيمنة العسكرية والاقتصادية، بل تجاوز ذلك إلى الاعتداء على الكرامة الإنسانية بالتهجير، والقتل الجماعي، والتجويع، والتعذيب، والاعتداءات الجسدية والنفسية.

٣– وقف الناميبيون بشجاعة في وجه آلة الاستعمار، على الرغم من اختلال موازين القوة، وهو ما اظهر روح المقاومة العميقة لدى الشعوب المستعمَرة، بيد أن التفوق السلاح الألماني حسم المواجهة لصالحهم، ليفتح الباب أمام مرحلة من الإبادة المنظّمة، التي لم تكن سوى تعبير عن أيديولوجيا استعمارية ترى في الإنسان الإفريقي دونية فطرية، وترسّخ في الممارسة الميدانية نظرية «البقاء للأصلح».

٤– ان الانقسام الداخلي بين مكونات المجتمع الناميبي، ولا سيما بين قبيلتي الهيريرو والناما، كان عاملاً حاسماً أسهم في ترجيح كفّة الاستعمار الألماني عسكرياً، فقد افتقرت مقاومتهما إلى الحد الأدنى من التنسيق الاستراتيجي، إذ خاض الطرفان المواجهة بشكل متعاقب لا متزامن، الأمر الذي حال دون تشكيل جبهة موحدة قادرة على

لتصدي للآلة العسكرية الألمانية، فضلاً عن ذلك أن الخراط قبائل الناما في القتال جاء متأخراً، أي بعد أن كانت لقوات الاستعمارية قد نجحت فعلياً في إخماد مقاومة الهيريرو، مما جعل من تحركهم محدود الفاعلية ويفتقر إلى الزخم للازم لإحداث تغيير ميداني حقيقي.

٥- بلغ العنف الألماني في ناميبيا ذروته، إلى حد أن شعب الهيريرو، على سبيل المثال، حُرم حتى من خيار لاستسلام، وهو ما ابان مدى التجرد من أي التزام أخلاقي أو قانوني في التعامل مع الافارقة، هذه الواقعة تعبر وضوح عن أقصى ما يمكن أن تبلغه الوحشية الاستعمارية عندما تُسلّح بأيديولوجيا عنصرية تُنكر على الإنسان لمُستعمَر حتى حقه في الوجود.

٦- وقفت الدول الأوروبية الكبرى موقفاً سلبياً إزاء الانتهاكات وعمليات القتل التي استهدفت الفئات المجتمعية هشّة كالنساء والأطفال، فضلاً عن المدنيين، اذ غابت أية تدخلات خارجية فعّالة لوقف عمليات الإبادة، ما بيّن قاعساً دولياً عن تحمل المسؤولية الإنسانية.

لهوامش:

(١) Godfrey Mwakikagile, Namibia Conquest to Independence: Formation of a Nation, New Africa Press, ٢٠١٥, P.١٣-١٤.

(٢)محمد عاشور مهدي، دليل الدول الافريقية، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٦٦٧-٦٦٨

(٣) Peter H. Katjavivi, A history of resistance in Namibia, Currey, ١٩٨٨, P.٥.

(٤)محمد عاشور مهدي، المصدر السابق ، ص ٦٦٨.

(٥)جعفر عباس حميدي، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان، ٢٠٠٢، ص ٢٩١.

(٦)سياسي الماني ولد عام ١٨١٥، ينحدر من عائلة اليونكرز من براندنبورغ، إلى شرق برلين بعد ان خدم في مناصب صغيرة صبح ممثل بروسيا في الدايت الالماني (ممثلي الولايات في مجلس النواب الاتحادي) في فرانكفورت عام ١٨٥١، عُين سفيراً لبلاده ي روسيا عام ١٨٥٩، ثم في فرنسا عام ١٨٦٢، استدعاه الامبراطور وليام الاول ملك بروسيا (١٨٦١-١٨٨٨) وامبراطور المانيا (١٨٧١-١٨٨٨) ليعينه بمنصب رئيس الوزراء لبروسيا ووزير خارجيتها، وبعد توحيد المانيا عُين مستشاراً للامبراطورية الالمانية عام ١٨٧١ حتى استقالته عام ١٨٩٠ توفي عام ١٨٩٨. ينظر:

لمام محمود كاظم ورواء علي كاظم الاسدي، وليم الثاني وعلاقته بالمستشار الالماني اوتو فون بسمارك (١٨٨٨-١٨٩٠) (مجلة) ، كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، (العدد ٢٢)، السنة (١٢) ، ٢٠١٨، ص١٢٨.

(٧)سهى هادي ناجي، سياسة المانيا لترسيخ نفوذها في تنجانيقيا وناميبيا ١٨٨٤-١٩١٨، الباحث (مجلة) جامعة كربلاء ، ٢٠٢٥، ص ١٠٩٨.

(٨)جعفر عباس حميدي، المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٩) S. Akweenda, International Law and the Protection of Namibia›s Territorial Integrity Boundaries and Territorial Claims, Brill, U.S.A, 1997, P.21.

(١٠) E. Ike Udogu, Liberating Namibia The Long Diplomatic Struggle Between the United Nations and South Africa, McFarland, Incorporated, Publishers, U.S.A, 2011, P.20.

(١١) Jeremy Sarkin, Germany›s Genocide of the Herero Kaiser Wilhelm II, His General, His Settlers, His Soldiers, UCT Press, P.4.

(١٢) Gilad James, Introduction to Namibia, Gilad James Mystery School, 2023, P.34.

(١٣) Chris McIntyre, Namibia, Bradt Travel Guides, 2015, P.15.

(١٤) Ibid, P.27.

(١٥) Robert Hitchcock, Genocide of Indigenous Peoples A Critical Bibliographic Review, Taylor & Francis, ٢٠١٧, P.٦١.

(١٦)ولد عام ١٨٣٠ في بيلا في كيب تاون الشمالي وهو ابن موسى ونانسي (لينا)، اصبح والده زعيماً لعائلة ويتبوي عام ١٨٧٥ عد وفاة جده، وفي عمر الثامنة والثلاثين اصبح عضواً ملتزماً ثم شيخاً في كنيسة المبشرين، التحق بمدرسة جيعون التبشيرية وتعلم

الهولندية والالمانية وفي عام ١٨٧٥ اصبح قسيساً في الكنيسة واستخدم منصبه لخدمة المجتمع البروتستانتي، وعلى الرغم من تخليه عن منصبه عام ١٨٨٣ الا انه بقي ملتزماً طوال حياته، وفي حزيران ١٨٨٤ بدأ رحلته شمالاً إلى وسط دامارالاند للبحث عن مستوطنة جديدة للناما وعلى الر قراره بتوسيع نفوذه بدأ صراعه العسكري الطويل الامد مع ماهاريرو زعيم الهيريرو، وخاض ويتبوي مواجهات مع كيانات اخرى حليفة للادارة الاستعمارية الالمانية مما اضعف تدريجياً التفويض السياسي للالمان في المستعمرة، وثبطت عزيمة المستوطنين مما جعل الادارة الاستعمارية تعمل على الفور لانهاء الصراعات بين ويتبوي ومنافسيه، كانت له علاقات واسعة مع المبشرين والتجار الاوروبيين للوصول إلى السفارات الاجنبية ووسائل الاعلام لطرح معاناة شعبه من المستعمرين، وكان على دراية بالتنافس الجيوسياسي الاوروبي وكان يسعى لنيل دعم دبلوماسي بريطاني المنافس الابرز اوروبيا لالمانيا وكان يرغب من خلال تلك التحركات تحقيق هدفه في الاستقلال والتفوق في جنوب غرب افريقيا، كما رفض التحالف مه ماهاريرو عند اندلاع حرب ١٩٠٤، لكنه دخل الحرب في العام التالي وقتل على اثرها نهاية عام ١٩٠٥. للمزيد ينظر:

Hendrik Witbooi, An Imperial Homeland Forging German Identity in South-west Africa, An Imperial Homeland Forging German Identity in Southwest Africa, Penn State University Press, 2022, P 117-120.

(١٧)ولد عام ١٨٥٦ في اوكاهنجا تلقى تعليمه في مدرسة البعثة الراينية في اوائل ستينيات القرن التاسع عشر، وعند وفاة والده عام ١٨٩٠ تزعم ماهاريرو قبيلة الهيريرو وسار على خطى والده في الاستمرار بمحاربة الناما ونيل دعم الالمان لا سيما بعد ان تنازل عن اراض واسعة ليستمر المستوطنين بالاستيلاء على الاراضي من هيريرو، وفي عام ١٩٠٤ وبدعم من شعبه قرر التراجع عن ولائه الممنوح للمستعمرين بل ومواجهتهم وبعد ان تلقى الهزيمة امام الالمان غادر إلى بيتشوانالاند (بوتسوانا حالياً) واقام فيها حتى وفاته عام ١٩٢٣. للمزيد ينظر

Anthony Appiah and Henry Louis Gates, Encyclopedia of Africa, Oxford University Press, 2010, P.112.

(18) Robert Hitchcockm, Op.Cit, P.62.

(19) Ibid, P.62.

(20) Jürgen Zimmerer & Joachim Zeller, Genocide in German South-West Africa. The Colonial War of 1904-1908 and its Aftermath, trans- lated and introduced by E. J. Neather, Monmouth, Press, 2008, P.325.

(21) Andrew R. Basso, Gradually Displacement as Atrocity, Rutgers University Press, 2024, P.49.

(22) Ibid, P.49-51.

(23) Jan-Bart Gewald, Herero Heroes A Socio-political History of the Herero of Namibia, 1890-1923, James Currey, 1999, P.111-112.

(24) Jan-Bart Gewald, Op.Cit, P.112.

(25) David P Forsythe, Encyclopedia of Human Rights, Vol 1, OUP USA, 2009, P19.

(26) Peter Midgley et al, Grappling with the Beast Indigenous Southern African Responses to Colonialism, 1840-1930, Brill, 2010, P.89.

(27) Robert Hitchcock,Op.Cit, P 65.

(28) Marion Wallace, Namibia From the Beginning to 1990, Oxford University Press, 2014, P.159-160.

(29) Samuel Totten and William Spencer Parsons, Centuries of Genocide Essays and Eyewitness Accounts, Routledge, 2013, P.94-95.

(٣٠)ولد في برلين عام ١٨٥٩، من عائلة هوهنزلرن الارستقراطية التي حكمت المانيا في العصور الاوروبية الحديثة، تولى العرش عام ١٨٨٨، خلفاً لوالده فردريك الثالث وقرر عزل بسمارك من منصبه عام ١٨٩٠، اتخذ قرارات مصيرية جعلت من خصومه في موقف متحد ضده، خاضت المانيا في عهده الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، واستمر حتى في السلطة حتى تنحيته عام ١٩١٨، ثم غادر إلى هولندا واقام بها حتى وفاته عام ١٨٤١.

Martin Polley, A-Z of Modern Europe Since ١٧٨٩, Taylor & Francis, ٢٠٠٣, P.١٦١.

(٣١) Marion Wallace, History of Namibia From the Beginning to ١٩٩٠, Oxford

.University Press, 2014, P.155; David P Forsythe, Op.Cit, P.19

(٣٢)ولد في التاسع من ايار ١٨٤٩ في ستراسبيليرون بالقرب من الحدود الجنوبية الغربية لالمانيا مع فرنسا درس القانون ثم شرع بالدراسة العسكرية، امتاز بالمناورات السياسية لاقناع الافارقة بالقبول باحكم الالماني واعتماده سياسة فرق تسد، توفي عام ١٩٢١. ينظر:

Mark Cocker, Rivers of Blood, Rivers of Gold Europe›s Conquest of Indig-
.enous Peoples, Grove Press, 2001, P.298

(٣٣)سبب مطالبة المستوطنين بعزل لويتوين بعد قراره عام ١٩٠٣ الذي حظر بموجبه سداد الديون التي بذمة الهيريرو مقابل الاراضي الامر الذي فسره المستوطنون على انه يُمثل ضربة لهم. كونهم استفادوا كثيراً من عملية نيلهم الاراضي مقابل الديون. كما فُسر اعلان لويتوين على انه جاء نتيجة معاملة المستوطنين السيئة للهيريرو. ينظر :

.Jeremy Sarkin, Op.Cit,P.46

.Jeremy Sarkin, Op.Cit,P.47 (34)

Helmut Bley, Namibia Under German Rule, Lit Verlag, Germany, 1996, (35)
.P.176

.Chris McIntyre, Op.Cit, P 8 (36)

.Peter H. Katjavivi, Op.Cit, P.9 (37)

Thomas Streissguth and Tom Streissguth, Namibia in Pictures, Twenty- (38)
.First Century Books, 2008, P.26

.Ibid(39)

.Jan-Bart Gewald, Op.Cit, P.167 (40)

Isabel V. Hull, Absolute Destruction Military Culture and the Practices of (41)
.War in Imperial Germany, 2013, P.7

.Isabel V. Hull, Op.cit, P.9 (42)

.Jan-Bart Gewald, Op.Cit, P.167(43)

.Peter H. Katjavivi, Op.Cit, P.8 (44)

.Jan-Bart Gewald, Op.Cit, P.168 (45)

.Chris McIntyre, Op.Cit, P.8 (46)

Michel-André Horelt, Apology and Reconciliation in International Rela-(47)
tions
.The Importance of Being Sorry, Taylor & Francis, 2015, P.129

Matthias Häussler, Genocide War, Emotion, and Extreme Violence in (48)
.Colonial Namibi, Berghahn Books, 2021, P.76

Susanne Kuss, German Colonial Wars and the Context of Military Vio- (49)
.lence, Harvard University Press, 2017, P.41

.١٦٩ Jan-Bart Gewald, Op.Cit, P (٥٠)

(٥١)جنرال الماني ولد في الثالث من حزيران عام ١٨٤٨ في ماغدبورغ درس العلوم الرياضية، تدرج بين عامي ١٨٦٥-١٨٧١ من ضابط متدرب إلى مساعد كتيبة مع فوج المشاة، الصف بالوحشية، شارك في قمع تمرد واهيهي في شرق افريقيا الالمانية عام ١٨٩٦، كما انضم إلى الحملة العسكرية إلى الصين وقمع ثورة الملاكمين عام ١٩٠٠، ثم اشترك في قمع تمرد الهيريرو في ناميبيا. ينظر

Mphathisi Ndlovu et al, Memory Struggles and Cultural Representations in
.Africa, Springer International Publishing, 2023, P.136

.Jeremy Sarkin, Op.Cit, P.147 (52)

(53) Ibid.
(54) Jan–Bart Gewald, Op.Cit, P.170
(55) David P Forsythe, Encyclopedia of Human Rights, Vol 1, OUP USA, 2009.P.21.
(56) Michel–André Horelt, Op.Cit, P.١٣٠.
(57) Robert Hitchcock , Op.Cit, P.54; Jan–Bart Gewald, Op.Cit, P.171.
(58) Michel–André Horelt, Op.Cit, P.130
(59) Giorgio Miescher, Line The History of a Veterinary and Settlement Bor– der, Palgrave Macmillan, 2012, P.66.
(60) Godfrey Mwakikagile, Op.Cit, P.69–70.
(61) Michel–André Horelt, Op.Cit, P.130
(62) Thomas Streissguth and Tom Streissguth, Op.Cit, P.27.
(63) Jan–Bart Gewald, Op.Cit, P.171
(64) Mary Bobbitt Townsend, Warhorse A Biography of Major General Peter Osterhaus, University of Missouri Press, 2010, P.208.
(65) Jan–Bart Gewald, Op.Cit, P.172
(66) Everett Jenkins, Pan–African Chronology II, McFarland, Incorporated, Publishers, 2011, P.369.
(67) Helmut Bley, Op.Cit, P.163
(68) Insight Guides, Insight Guides Namibia, APA , 2015, P.143.
(69) Sabelo J. Ndlovu–Gatsheni, Coloniality of Power in Postcolonial Africa Myths of Decolonization, Codesria, 2013, P.136.
(70) Samuel K. Amoo, Property Law in Namibia (2nd edition), Pretoria Uni– versity Law Press, 2024, P.17.
(71) Sabelo J. Ndlovu–Gatsheni, Op.Cit, P.136.
(72) Mirjam de Bruijn et al, Resistance Revolt and Violence in African History, Brill, 2003, P.284.
(73) Jan–Bart Gewald, Op.Cit, P.173
(74) Jan–Bart Gewald, Op.Cit, P.174–175
(75) Khanye Tsebo, From Africa To America To The World, Lulu Press, In– corporated, 2018, P.65.
(76) Adam Jones, Genocide A Comprehensive Introduction, Taylor & Francis, 2006, P.80.
(77) Peter Curson, Border Conflicts in a German African Colony Jakob Moren– go and the Untold Tragedy of Edward Presgrave, Arena, 2012, P.50.
(78) Peter Curson, Op.Cit, P.50
(79) Everett Jenkins, Op.Cit, P.383.
(80) Andrew R. Basso, Destroy Them Gradually Displacement as Atrocity, Rutgers University Press, 2024, P.180.
(81) Peter Curson, Op.Cit, P.51.

(82) Ibid.

(83) Jürgen Zimmerer, German Rule, African Subjects State Aspirations and the Reality of Power in Colonial Namibia, Berghahn Books, 2021, P.121.

(84) Marion Wallace, Op.Cit, P. 169.

(85) Andrew R. Basso, Op.Cit, P.181.

(86) Luregn Lenggenhager and Bernard C. Moore, Space is the Ultimate Luxury Capitalists, Conservationists, and Ancestral Land in Namibia, Brill, 2025, P.64–65.

(87) Everett Jenkins, Op.Cit, P.369.

(88) Martin Kalb, Empire Nature, Infrastructure and the Making of German Southwest Africa, Berghahn Books, 2022, P.208.

(89) John S. Lowry, Big Swords, Jesuits, and Bondelswarts Wilhelmine Imperialism, Overseas Resistance, and German Political Catholicism, 1897–1906, Brill, Boston, 2015, P.65.

(90) Luregn Lenggenhager and Bernard C. Moore, Op.Cit, P.65–66.

(91) Andrew R. Basso, OP.Cit, P.182.

(92) George Steinmetz, The Devil›s Handwriting Precoloniality and the German Colonial State in Qingdao, Samoa, and Southwest Africa, University of Chicago Press, 2008, P.175.

(93) Martha Akawa, The Gender Politics of the Namibian Liberation Struggle, African Books Collective, 2014, P.31.

(94) Peter Curson, Op.Cit, P.50.

(95) Khanye Tsebo, Op.Cit, P.65.

(96) Martha Akawa, Op.Cit, P.31.

(97) Peter Curson, Op.Cit, P.49.

(98) Aparna Rao et al, The Practice of War Production, Reproduction and Communication of Armed Violence, Berghahn Books, 2008, P.93.

(99) Aparna Rao et al, Op.Cit, P.93.

(100) Khanye Tsebo, Op.Cit, P.66.

(101) Sabelo J. Ndlovu-Gatsheni, Op.Cit, P.136.

(102) Binyavanga Wainaina, Kwani? 01, African Artefacts, 2003, P.41.

(103) Khanye Tsebo, Op.Cit, P.67.

(104) I. I. Isaac, Inter-African Development and Development Fund (Iadf) With Alternative Strategies Towards Sustainable Economic Development for Africa, Trafford Publishing, 2009, 78.

(105) Nigel Eltringham and Pam Maclean, Remembering Genocide, Taylor & Francis, 2014, P.154–155.

(106) Reinhart Kössler, From Genocide to Holocaust? Structural Parallels and Discursive Continuities, Africa Spectrum, Vol. 40, No. 2 (2005), P.311.

(107) Ibid, P 313–314.

(108) Nigel Eltringham and Pam Maclean, Op.Cit, P.١٥٥.

Website address
White Dome Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN3005_5830
Deposit number
In the House of Books and Documents (1127)
For the year 2023
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb